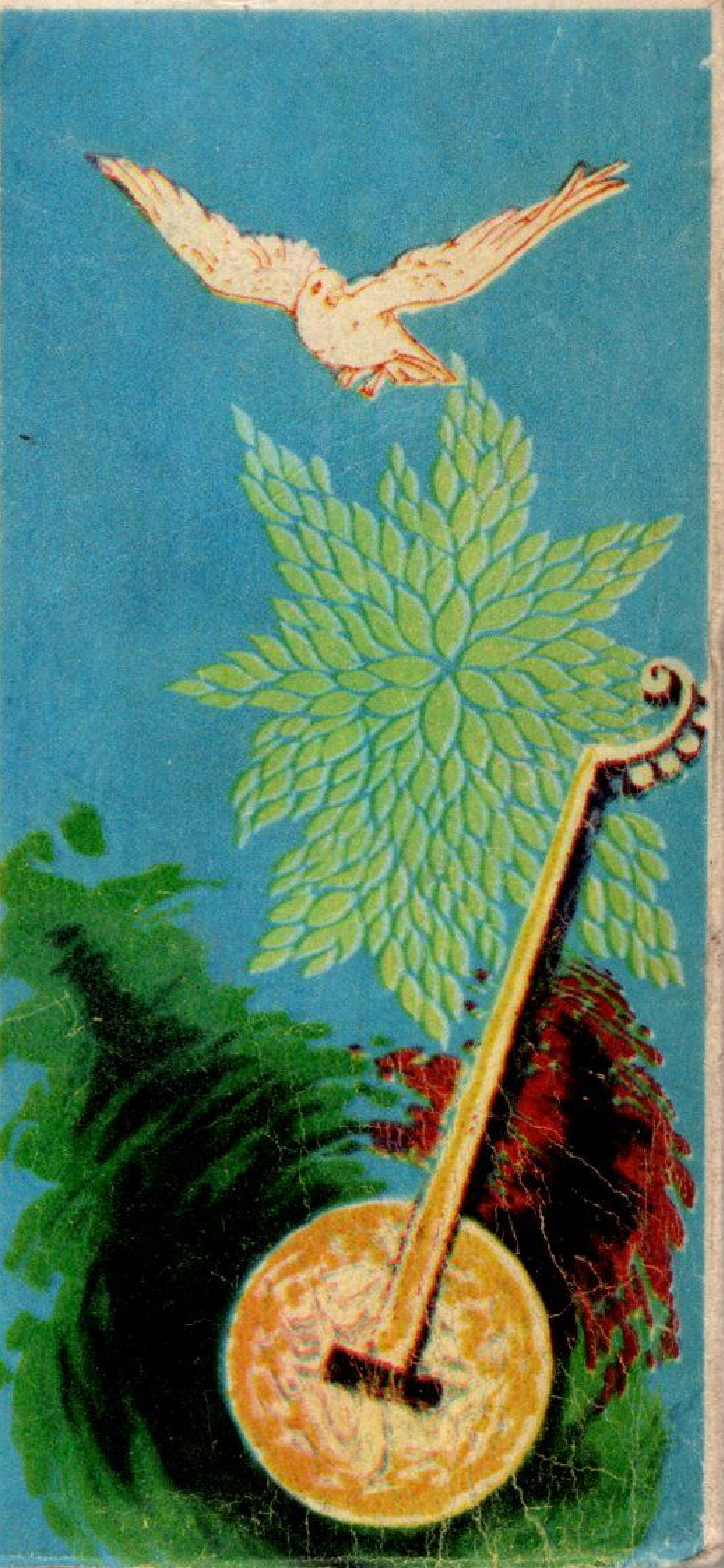
كتاب الهلال
سلسلة
ثقافية
شهرية

أشعار وشعراء من المهجر

محمد عبد الغنى حسن



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعى

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٦٦ ـ محرم ١٣٩٣ ـ فبراير ١٩٧٣

No. 266 — Février 1973

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية او ٢ جنيه ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الغلاف بريشة
الفنان جمال قطب

محمد عبد الغني حسن

أشعار وشعراء من المهجر

دار الهلال

الشاعر

عندما ابدع هذا الكون رب العالمينا
ورای كل الذی فيه جميلا . ونمينا
خلق الشاعر كی يخلق للناس عيونا
تبصر الحسن وتهواه حراكا وسكونا
وزمانا ومكانا وشخوصا وشئونا
فارتقى الخلق ، وكانوا قبله لا يرتقونا
واستمر الحسن فی الدنيا ودام الحب فينا ..!

ايليا ابو ماضى

الفصل الاول

شعراء المهجر الشمالي

إيليا أبو ماضى

١٨٨٩ — ١٩٥٧

هناك فى قرية « المحيدثة » ، من أعمال لبنان كانت الدنيا تتطلع لتستقبل مولد شاعر كتب له أن يسمع العالم الجديد أصواتا صافية من العالم القديم ، وكانت سنة ١٨٨٩ هى السنة التى حملت الى العالم نبأ هذا النجم الذى لم يكن أحد ليدرى أنه سيحتل مكان الزعامة فى شعر المهجر . وقد أسلس الشعر له قياده وهو على أبواب البلوغ ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى هاجر الى مصر سنة ١٩٠٠ ، فما وافت سنه العشرين حتى كان يحرر فى بعض الصحف والمجلات بمصر ، الى أن جاءت سنة ١٩١١ فتحركت فيه نوازع الهجرة الى العالم الجديد ، فقصد الولايات المتحدة ، وأقام فى سنسناتى . وفى صيف سنة ١٩٢٦ انتقل الى نيويورك ليعمل فى الميدان الادبى . ولما أنشئت « الرابطة القلمية » فى نيويورك برياسة جبران خليل جبران كان أبو ماضى من أنصارها العاملين ، وان لم يكن من الذين حضروا أول اجتماعاتها فى أبريل سنة ١٩٢٠ .

وفى أبريل سنة ١٩٢٩ أنشأ المترجم له جريدة « السمير » بنيويورك ، وكانت تصدر حافلة بنفثات

يراعته ويراع المعاونين له فى تحريرها ، ويتوج صدر مجلة « السمير » بيتان من الشعر هما أصدق تعبير عن روح المترجم له وعاطفته الادبية يقول فيهما :

أنا لا أهدى اليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انما أهدى الى أرواحكم
فكرا تبقى اذا الطرس احترق

ويشهد مؤرخ « تاريخ الصحافة العربية » بأن مجلة « السمير » **تعد فى هذا الزمان من أوسع المجلات العربية انتشارا فى العالم الجديد** (١) !..

وفى سنة ١٩٥٧ وقبيل وفاة أبى ماضى بقليل احتجبت مجلة « السمير » ، وبيعت مطابعها ومكاتبها وحروفها .

وأول ديوان من الشعر ظهر لأبى ماضى هو « تذكار الماضى » (٢) الذى طبع بالاسكندرية سنة ١٩١١ حينما كانت سن الشاعر اثنين وعشرين عاما ، ويشمل القصائد التى نظمها فى مصر . وبعد هجرته الى أمريكا بخمس سنوات نشر الجزء الثانى من ديوانه ، بعنوان « ديوان ايليا أبو ماضى » وطبع فى نيويورك سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مجموعة من شعر التأملات والشعر الوطنى والقصص الشعرى الغرامى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر ديوان « الجداول » الذى طبع فى مطبعة « مرآة الغرب » بنيويورك ، وكتب مقدمته الشاعر ميخائيل نعيمة قائلا فيها : « فبين هذه الجداول ما تنساب معه روحى مترقرقة ، مترنمة ، مطمئنة ، جذلة بنور فى عينيها ، وجمال فى جانبيها . مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود»

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : لطرازى ج ٤ ص ٤٢٩
(٢) معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ج ١ ص ٣٤٤

فكانت أكرم وأصدق تحية من شاعر الى شاعر .

وفى سنة ١٩٤٦ ظهر للمترجم له ديوان « الخمائل » فلقى من الرواج والترحيب ما اقتضى اعادة طبعه فى زمن يسير . أما ديوانه « تبر وتراب » فقد نشر بعد وفاته بهمة شقيقه مراد وصديقه الوفى الشاعر جورج صيدح ، وقد انعقد الاجماع على أن ايليا أبا ماضى هو بلا جدال أمير شعراء العرب فى المهجر لو بقى فى دولة الشعر أمراء ! !

وأقيم للشاعر أبى ماضى حفلان لتأبينه ، كان أولهما فى بيروت فى يناير سنة ١٩٥٨ ، وثانيهما فى النادى العربى بدمشق فى الشهر نفسه . وقد أبدع الشاعر جورج صيدح فى رثائه بمطولة جيدة يقول فيها :

يا شاعرى ما زال أنضاء السرى
يترسمون خيـــــالك الوثابا
فى «الدمعة الخرساء» ، فى « العنقاء »
فى « الطين » الذى لبس النضار ثيابا
فى رقرقات ســــحابة مسحورة
فى رفرفات فراشــة تتصــابى !
فى بسمة رفت على شفة المنى
واستقطرت شهد الحياة رضابا ..

باقة من أشعاره

ابتسم

قال : السماء كئيبة وتجهما
قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال : الصبا ولى فقلت له : ابتسم
لن يرجع الأسف الصبا المتصرما ..
قال : التى كانت سمائى فى الهوى
صارت لنفسى فى الغرام جهنما
خانت عهودى بعد ما ملكتها
قلبى ، فكيف أطيق أن أتبسما ؟

قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضيت عمرك كله متألما
قال : التجارة فى صراع هائل
مثل المسافر كاد يقتله الظما
أو غادة مسلولة محتاجة
لدم وتنفث كلما لهثت دما
قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها
وشفائها ، فاذا ابتسمت فربما ...

أيكون غيرك مجرما وتبيت فى
وجل كأنك انت صرت المجرما ؟

قال : العـدا حولى علت صيحاتهم
أ أسر والاعداء حولى فى الحمى ؟
قلت : ابتســم ، لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم أجل وأعظما !

***

قال : المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لى فى الملابس والدمى
وعلى للأحبـــاب فرض لازم
لـكن كفى ليس تملك درهمـا
قلت : ابتسم يكفيك أنك لم تزل
حيـا ، ولست من الاحبة معـدما ؟

***

قال : الليـالى جرعتنى علقما
قلت : ابتسم ولئن جرعت علقما !
فلعـــل غيرك ان رآك مرنما
طرح الـكآبة جانبا وترنما ...
أتراك تغنم بالتبرم درهمـــا
أم أنت تخسر بالبشاشـــة مغنما ؟

يا صاح ! لا خطر على شـفتيك أن
تتثلما ، والوجـه أن يتحطمـا
فاضحك! فان الشهب تضحك والدجى
متـــلاطم ، ولذا نحب الانجما

قال : البشاشـة ليس تسـعد كائنا
يأتى الى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم ما دام بينـك والردى
شبر ، فانك بعد لن تتبسما !

الــكريم

قالوا : ألا تصف الـكريـ ــم لنا ؟ فقلت على البديه
ان الـكريم لـكالربيـ ــع تحبه للحسن فيه
وتهش عنـد لقـائه ويغيب عنـك فتشتهيه
لا يرتضى أبدا لصـا حبه الذى لا يرتضيه
واذا الليـالى ساعفتـ ــه لا يدل ولا يتيه
وتراه يبســم هازئا فى غمرة الخطب الكريه
واذا تحرق حاســدو ه بكى ورق لحاسديه
كالورد ينفح بالشـذى حتى أنوف السارقيه...

الطين

نسى الطين ســاعة أنه طيـ
ــن حقير فصـال تيها وعربد
وكسا الخز جســـمه فتباهى
وحوى المـال كيســه فتمرد
يا أخى ! لا تمل بوجهك عنى
ما أنا فحمـة ولا أنت فرقـد
أنت لم تصنع الحرير الذى تلـ
ـبس واللؤلؤ الذى تتقـــلد
أنت لا تأكل النضار اذا جعـ
ـت ولا تشرب الجمان المنضد
أنت فى البردة الموشـاة مثلى
فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
لك فى عالم النهــــار أمان
ورؤى ، والظلام فوقك ممتد

ولقلبي كما لقلبـــك احـــلا
م حسان فانه غير جلمـد ...

***

اماني كلهـــــــــا من تراب
وامانيـك كلهـــا من عسجد ؟
واماني كلهـــــا للتـــلاشي
واماني ـــك للخلود المؤكد ؟
لا ! فهذي وتلك تأتي وتمضي
كذويهـــا ، واي شيء يؤبد ؟

ايها المزدهي اذا مسـك السقـ
ـم الا تشتكي ؟ الا تتنهد ؟
واذا راعك الحبـــيب بهجر
ودعتك الذكرى الا تتوجـــد ؟
انت مثلي يهش وجهـك للنعـ
ـمى وفي حـالة المصيبـة يكمد
ادموعي خل ودمعك شـــهد
وبكائي ذل ونوحك ســؤدد ؟

وابتسامي السراب لا ري فيه
وابتســاماتك اللآلى الخرد ؟
فلك واحـد يظـل كلينـــا
حار طرفي به وطـرفك ارمـد
قمر واحـد يطـل علينـــا
وعلى الـكوخ والبنـــاء الموطـد

ان يكن مشرقا لعينيـــك اني
لا اراه من كوة الـكوخ اسود
النجـــوم التي تراهـا اراهـا
حين تخفى وعنـد ما تتوقـد

لست أدنى – على غنـاك – اليهـا
وأنا مع خصاصتى لست أبعد

***

انت مثــــلى من الثرى واليه
فلماذا يا صاحبى التيه والصد
كنت طفلا اذ كنت طفلا وتغدو
حين أغدو شـــيخا كبيرا ادرد
لست ادرى من اين جئت ولا ما
كنت ، أو ما اكون يا صــاح فى غد
افتـــــدرى ؟ اذن فخبر والا
فلمـــــاذا تظن أنك أوحد ؟
ألك القصر دونه الحرس الشـا
كى ومن حوله الجدار المشيد ؟
فامنع الليـــــل أن يمد رواقا
فوقه ، والضبـــاب أن يتلبـد
وانظر النور كيف يدخل لا يطـ
ـلب اذنا ، فما له ليس يطرد ؟
مرقــد واحــد نصيبـــك منـه
أفتدرى كم فيك للذر مرقد ؟
ذدتنى عنه والعواصــف تعـدو
فى طـــــلابى والجو أقتم اربد
بينما الـكلب واجد فيه مأوى
وطعاما ، والهر كالـكلب يرفد
فسمعت الحيـــاة تضحك منى
اترجى ، ومنك تأبى وتجحـــد

***

ألك الروضــة الجميـلة فيها الـ
ـماء والطـير والأزاهر والنـد ؟

فازجر الريح ان تهز وتلوى
شجر الروض . . انه يتأود
والجم الماء فى الغدير ومره
لا يصفق الا وانت بمشهد
ان طير الاراك ليس يبالى
انت اصغيت ام انا ان غرد
والازاهير ليس تسخر من فقـ
ـرى ولا فيك للغنى تتورد ...
الك النهر ؟ انه للنسيم الر
طب درب وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحم به فى الصـ
ـيف ليلا كأنها تتبرد . .
تدعيه ، فهل بأمرك يجرى
فى عروق الاشجار او يتجمد ؟
كان من قبل أن تجىء وتمضى
وهو باق فى الارض للجزر والمد

***

الك الحقل ؟ هذه النحل تجنى الشـ
ـهد من زهره ولا تتردد ؟
وارى للنمال ملكا كبيرا
قد بنته بالكدح فيه وبالكد
انت فى شرعها دخيل على الحقـ
ـل ولص جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول فى الارض طرا
لم تكن من فراشة الحقل اسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور
دة ذات الشذى ولا انت اجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خد

يك قوت وفى يديك المهنـد !
أم غنى ؟ هيهات تختال ، لولا
دودة القز ، بالحبـاء المبجـد
أم قوى ؟ اذن مر النوم اذ يغ
شاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشـيب ان يلم بفوديـ
ك ومر تلبث النضارة فى الخد
أعليم ؟ فما الخيال الذى يطـ
ـرق نيلا ؟ فى اى دنيا يولد ؟
ما الحيـاة ألتى تبين وتخفى ؟
ما الزمان ألذى يذم ويحمد ؟
أيها الطين ! لست أنقى واسمى
من تراب ندوس أو تتوسـد
سدت او لم تسد فما أنت الا
حيـوان مسـير مستعبـد
ان قصرا سمكته سـوف ينـدك
وثوبا حبكته سـوف ينفد
لا يكن للخصام قلبـك مأوى
ان قلبى للحب اصـبح معبد
انا أولى بالحب منـك واحرى
من كساء يبلى ، ومال ينفد

هى

أروى لكم عن شاعر ساحر
حكاية يحمـد راويها
قال دعا اصحابه سـيد
فى ليـلة رقت حواشيـها

فانتظمت فى قصره عصبة
كريمة لا واغل فيها
من نبلاء الشعب ساداتها
وخيرة الغيد غوانيها

حتى اذا ما جلسوا كلهم
وطاف بالاكواب ساقيها
قام أمير القصر فى كفه
كأس اعارته معانيها
وقال يا صحب على ذكركم
املؤها حبا واحسوها
وذكر من قلبى عبد لها
ومهجتى احدى جواريها
حبيبتى « لمياء » سميتها
ولم اكن قبلا اسميها
فشربوا كلهم سرها
وهتفوا كلهم تيها
فأجزل الشكر لاصحابه
الشكر للنعمة يبقيها

وصاح بالساقى علينا بها
فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للأضياف : سمعا ! فلى
كلمة ، العدل يمليها
ما انا وحدى الصب فيكم ولا
كل العذارى من اناجيها
فكل نفس مثل نفسى لها
فى هذه الدنيا امانيها
وكل قلب مثل قلبى له
حسناء ترجوه ويرجوها

يا صحب من كانت به صبوة
يعلنهـــــا الآن ويبـــــديها
فنهضـــــوا ثانيــــة كلهم
ورفعوا الـكاســـــات تنويها
كلهم يشـــرب ســـر التى
يهوى من العيـــــد ويطريها

***

وكان فى الشـــرب فتى باسل
طلعتــــــه تســـحر رائيهـا
شـــــارك فى اول أقـــداحهم
ولم يشــــاركهم بثانيهــا
وانت ؟ قال الصحب واستضحكوا
هل لك حســـــناء نحييها ؟
قال اجل : اشرب ســـر التى
بالروح تفـــــديني وافـــديها
صـــــورتها فى القلب مطبوعة
لا شيء حتى الموت يمحـــوها
لا تترصـــــانى رياء ، ولا
تلثمنى كذبا وتمويهــــــــا
يضــــيع مالى ويزول الصبا
وحبهــــا باق وحبيهــــا
قد وهبتنى روحهــــــا كلها
ولم تخف انى أضــــــحيها
ســـــر التى لا غادة بينكم
مهما ســـمت فى الحب تحكيها
فأجفلوا منه كمن حيــــــة
نهاشـــــة قد عز راقيهـــا
وقالت الفـــــادات آف له

قد شـــوه المجلس تشويها
لو ظل فيما بيننا صامتا
لم تســمع الآذان مكروها
وقلقل الفتيــــان أسيافهم

فأوشكت تبـــدو حواشيها
وتعتع الشــــادى بألحانه
وماجت الـــدار بمن فيهـــا
وقال قوم خبلتــــه الطلا

وقال قوم صـــار معتوها
فصاح رب الدار يا سيدى
وصــفتها ، لم لا تسميها ؟

اتخجل باسم من تهوى ؟
احســـناء بغير اسم ؟

فاطـــرق غـــير مكترث
وتمتم خاشعا أمى ...

كن بلسما

كن بلسما ان صار دهرك ارقما
وحلاوة ان صار غيرك علقما
ان الحيـاة حبتـك كل كنوزها
لا تبخلن على الحياة ببعض ما
احسن وان لم تجز حتى بالثنـا
اى الجزاء الغيث يبغى ان همى ؟

من ذا يكافىء زهـرة فواحـة
او من يثيب البلبـل المترنما ؟

عد الكرام المحسنين وقسهم
بهما تجد هذين منهم أكرما
يا صاح خذ علم المحبة عنهما
انى وجدت الحب علما قيما

لو لم تفح هذى ، وهذا ما شدا
عاشت مذممة وعاش مذمما
ايقظ شعورك بالمحبة ان غفا
لولا شعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ كوخا نيرا
وابغض فيمسى الكوخ سجنا مظلما

ما الكأس ، لولا الخمر . غير زجاجة
والمرء ، لولا الحب ، الا أعظما
كره الدجى فاسود الا شهبه
بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء اصبح رملها
زهرا ، وصار سرابها الخداع ما

لو لم يكن فى الارض الا مبغض
لتبرمت بوجوده ونبرما
لاح الجمال لذى نهى فأحبه
ورآه ذو جهل فظن ورجما
لا تطلبن محبة من جاهل
المرء ليس يحب حتى يفهما

وارفق بأبناء الغباء كأنهم
مرضى ، فان الجهل شيء كالعمى
واله بورد الروض عن أشواكه
وانس العقارب ان رأيت الانجما

كم تشتكي

كم تشتكي وتقول انك معدم
والارض ملكك والسما والانجم ؟
ولك الحقول وزهرها واريجها
ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقراقة
والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبني في السفوح وفي الذرى
دورا مزخرفة وحينا يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثا
آياته قدام من يتعلم .

وكأنه لصفائه وسنائه
بحر تعوم به الطيور الحوم
هشت لك الدنيا فمالك واجما
وتبسمت فعلام لا تتبسم ؟

ان كنت مكتئبا لعز قد مضى
هيهات يرجعه اليك تندم
او كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنع أن تحل تجهم

او كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شاخ الزمان فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى
صور تكاد لحسنها تتكلم

ما بين اشجار كأن غصونها
أيد تصفق تارة وتسلم

وعيون ماء دافقات فى الثرى
تشفى السقيم كأنما هى زمزم !
ومسارح فتن النسيم جمالها
فسرى يدندن تارة ويهمهم . .

فكأنه صب بباب حبيبة
متوسل ، مستعطف ، مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهيا
والنرجس الولهان مغف بحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس
وعلى الهضاب لكل حسن ميسم
فهنا مكان بالاريج معطر
وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة
حتى كأن الله فيها يبسم !

فامش بعقلك فوقها متفهما
ان الملاحة ملك من يتفهم
اتزور روحك جنة فتفوتها
كيما تزورك بالظنون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيكلا متجسدا
فتعافها لوساوس تتوهم ؟
يا من يحن الى غد فى يومه
قد بعت ما تدرى بما لا تعلم

فلسفة الحياه

أيهذا الشاكى وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليلا ؟

ان شر الجناة فى الارض نفس
تتوقى قبل الرحيل ، رحيلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى
أن ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

ليس اشقى ممن يرى العيش مرا
ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس فى الحياة أناس
عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا
واذا ما أظل رأسك هم
قصر البحث فيه كيلا يطولا
ادركت كنهها طيور الروابى
فمن العار ان تظل جهولا

ما تراها ـ والحقل ملك سواها ـ
تخذت فيه مسرحا ومقيلا
تتغنى ، والصقر قد ملك الجو
عليها ، والصائدون السبيلا
تتغنى ، وقد رأت بعضها يؤ
خذ حيا ، والبعض يقضى قتيلا
تتغنى ، وعمرها بعض عام
أفتبكى وقد تعيش طويلا ؟

فهى فوق الغصون فى الفجر تتلو
سور الوجد والهوى ترتيلا

وهي طورا على الثرى واقفات
تلقط الحب أو تجر الذيولا !

كلما أمسك الغصـــون سكون
صفقت للغصــــون حتى تميلا
فاذا ذهب الاصــــيل الروابى
وقفت فوقها نناجى الاصيــــلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الاطـ
ـيار عنــد الهجير ظلا ظليــلا
وتعلم حب الطبيعة منهــــا
واترك القـــال للورى والقيـــلا
فالذى يتقى العـــــواذل يلقى
كل حين فى كل شخص عذولا

***

انت للأرض أولا وأخـــــيرا
كنت ملـكا ، أم كنت عبـدا ذليــلا
لا خلود تحت الســـماء لحى
فلمـــــاذا تراود المســـتحيلا ؟

كل نجم الى الافول ، ولـكن
آفــة النجم أن يخــاف الافولا

وطن النجوم

وطن النجوم . . أنا هنا
حـــدق اتذكر من أنا ؟

المحت فى المـاضى البعيـ
ـد فتى غريرا أرعنــــا

جـــذلان يمرح فى حـــقو
لك كالنسيـــــــــم مدندنا
المقتـــــــنى المملوك مل
ـعبه وغـــــــير المقتنى !

يتســــلق الاشـــجار لا
ضـــــجرا يحس ولا ونى
ويعود بالاغصـــــــان يبـ
ـريها سيوفا ، او قنـــا
ويخوض فى وحل الشـــتا
متهللا متيمنـــــــــا .

لا يتقى شـــر العيـــــو
ن ولا يخاف الالســـــنا
ولكم تشـــيطن كى يقو
ل الناس عنه تشيطنا .
انا ذلك الولـــــــد الذى
دنيـــــــــاه كانت ههنـــا !

انا من ميـــــاهك قطـرة
فاضت جداول من ســـــنا
انا من ترابــــــــك ذرة
ماجـــت مواكب من منى
انا من طيــــــورك بلبل
غنى بمجـــــــدك فاغتنى
حمـــل الطـــلاقة والبشــا
شــــــة من ربوعك للدنى
كم عانقــــــت روحى ربا
ك وصــــفقت فى المنحنى !
للأرز يهــــــــزأ بالربا
ح وبالدهور وبالفنـــــــا

للبحر ينشره بنو
ك حضارة وتمدنا
لليل فيك مصليا
للصبح فيك مؤذنا

للشمس تبطىء فى ودا
ع ذراك كى لا تحزنا
للبدر فى نيسان يك
حل بالضياء الاعينا

فيذوب فى حدق المهى
سحرا لطيفا لينا
للحقل يرتجل الروا
ئع زنبقا أو سوسنا !

للعشب أثقله الندى
للغصن أثقله الجنى
عاش الجمال مشردا
فى الارض ينشد مسكنا

حتى انكشفت له فأل
قى رحله ، وتوطنا !

واستعرض الفن الجبا
ل فكنت أنت الاحسنا

لله سر فيك يا
لبنان لم يعلن لنا

خلق النجوم . وخاف أن
تغوى العقول وتفتنا

فأعار ارزك مجده
وجلاله كى نؤمنا . .

زعموا سـلوتك . . . ليتهم
نســـــبوا الى الممكنـــا
فالمرء قـــد ينسى المســ
ـيىء المفترى ، والمحسنـا
والخمر ، والحسناء ، والـ
ـوتر المرنح ، والفنـــا
ومرارة الفقـــر المـــذل
بلى ، ولـــذات الغنى
لـكنه مهما ســــــلا
هيهـــات يسلو الوطنـــا

ميخائيل نعيمة

وهناك في قرية بسكنتا الوادعة المرتفعة على هضبات صنين آلافا من الاقدام فوق سطح البحر كان مولد شاعر آخر .. فاستقبلت الدنيا مولد شاعرين أبي‌ماضي ونعيمة في عام واحد . وهناك في المدرسة الروسية الابتدائية بتلك القرية الحالمة درس نعيمة علومه الابتدائية وأظهر الفتى في دروسه جدا وتفوقا أهلاه لان يحظى ببعثة الى مدرسة المعلمين الروسية بمدرسة الناصرة بفلسطين وهنا اتسعت آفاق معرفته باللغة الروسية ، وزاد تضلعا في الدراسات العربية ، ولقى من التفوق على الاقران في الناصرة ما لقيه في بسكنتا ،

فاستحق هذه المرة بعثة الى مدينة بولتافا من أعمال اقليم أوكرانيا الروسي ، وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ حيث التحق بمعهد « السمنار » هناك .

وقضى المترجم له في بولتافا الروسية خمس سنوات حصل في خلالها الوانا من الآداب العالمية ، وتزود من الادب الروسي بزاد خصيب ، حتى برع في الكتابة بالروسية والنظم فيها . وما قصيدته «النهر المتجمد» الا اثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية ، نقلها بعد

حين الى لغة الضاد . ولم يعد نعيمة من الروسيا الى وطنه لبنان الا ليزمع الرحلة هذه المرة الى العالم الجديد البعيد ... وقد كان فى نيته الهجرة الى باريس مدينة العلم والنور ، ولكن أخاه ثناه عن عزمه واصطحبه معه الى الولايات المتحدة ، حيث درس الحقوق فى جامعة واشنطون ، وظفر باجازتها العلمية سنة ١٩١٦ .

ولم يشغله الطلب للعلم عن الكتابة الادبية النقدية فى مجلات امريكا العربية ، وخاصة مجلة « الفنون » وجريدة « السائح » اللتين أصدرهما نسيب عريضة وعبد المسيح حداد على الولاء ولما ماتت « الفنون » كانت « السائح » بوقا لنعيمة ورفاقه المجددين من مؤسسي « الرابطة القلمية » بنيويورك ومن رفاق نعيمة نسيب عريضة وعبد المسيح حداد . وهما من زملائه فى مدرسة المعلمين الروسية فى الناصرة بفلسطين. وهنا جمع الله الاشتات بعد أن كانوا يظنون كل الظن أن لا تلاقيا وافتتح حياته النقدية الادبية بنقد رواية « الاجنحة المتكسرة » لجبران فى مقال عنوانه « فجر الامل بعد ليل اليأس » وفى هذا النقد ظهرت بوادر ثورته على الجمود والتقليد فى اللغة العربية ، وكان هذا النقد سبيل تعرف المترجم له الى جبران خليل جبران . فانتقل الى نيويورك ، وهناك فى زحام هذه المدينة المدين لها شعر المهجر بالكثير من اسباب نهوضه ، تعرف الى ابي ماضي ورشيد أيوب وغيرهم من مؤسسي الرابطة القلمية التى كان جبران عميدها ونعيمة مستشارها ...

وفى سنة ١٩١٧ تركت امريكا حيادها فى خلال الحرب العالمية الاولى ، وخاضت غمراتها . وكان نعيمة واحدا من آلاف الجنود الذين شملهم قانون التجنيد الامريكى،

والقت به الاقدار الي الجبهة في فرنسا ، واتيح له بعد الحرب بعثة تعليمية في جامعة « رين » الفرنسية ، فدرس تاريخ الآداب والفنون ، والتاريخ السياسى لفرنسا . وعاد الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ ، وظل فيها ثلاثة عشر عاما غادرها الى لبنان سنة ١٩٣٢ ، ليعيش فى ذرا صنين ، وفى اكناف بسكنتا الهادئة ، وفى ظلال الشخروب ، حيث مزرعة له ورثها من آبائه.

***

ويعد كتاب «الغربال» لنعيمة من كتب النقد الحديث التى لا يغفلها مؤرخ للأدب العربى المعاصر . فقد كان بعد كتاب « الديوان » للعقاد والمازنى من الدعائم الاولى فى النهضة النقدية الادبية المعاصرة . وقد كتب العقاد مقدمة طبعته الاولى سنة ١٩٢٣ فاثنى على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد ...

ومن كتب ميخائيل نعيمة الآباء والبنون . والغربال ، والمراحل ، وكان ما كان . وديوان همس الجفون وفيه شعره العادى والمنثور . وزاد المعاد ، والبيادر ، وكرم على درب ، ولقاء . والاوثان ، وصوت العالم ، ومذكرات الارقش . وجبران خليل جبران ، الذى يعد بدعا فى كتابة التراجم فى الادب العربى ، وسبعون ، بأجزائه الثلاثة الضخام ، وهو سيرة صريحة رائعة لنعيمة ، وله بالانجليزية كتاب « مرداد » الذى نقله هو نفسه الى العربية .

باقة من اشعاره

النهر المتجمد

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنما بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالامس كنت اذا أتيتك باكيا سليتنى
واليوم صرت اذا أتيتك ضاحكا أبكيتنى
بالامس كنت اذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى ؛ وها إبكى انا وحدى ؛ ولا تبكى معى !

ما هذه الاكفان ؟ أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلما مرت به ريح الشمال
والحور يندب فوق راسك ناثرا أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مرددا الحانه
تاتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شبابا من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء

جوق يشيع جسمك الصافى الى دار البقاء
لكن سينصرف الشتا ، وتعود ايام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقيـة حـرة نحو البحار
حبلى بأسرار الدجى . ملى بأنوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليل البهيم
والبـدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين

والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب
قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبـــــك فيه أهواء وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الامل ...

فتساوت الايام فيه صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسين ، وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى احد
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدوت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم ...

يا نهر ! ذا قلبى اراه كما اراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك ؛ وهو ... لا

اخى ...

اخى ! ان ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا

***

اخى ! ان عاد بعد الحرب جندى لاوطانه
والقى جسمه المنهوك فى احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

***

اخى ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبنى بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعداء غرسا فى اراضينا
سوى اجياف موتانا

***

اخى ! قد تم ما لو لم نشأه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو أردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغى لشكوانا
بل اتبعنى لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نوارى فيه موتانا

***

اخى ! من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
اذا نمنا ، اذا قمنا ردانا الخزى والعار

لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بمونانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نوارى فيه أحيانا

ابتهالات

كحل اللهم عينى
بشعاع من ضياك
كى تراك ..
فى جميع الخلق ! فى دود القبور
فى نسور الجو ، فى موج البحار
فى صهاريج البرارى . فى الزهور
فى الكلا ، فى التبر ؛ فى رمل القفار
فى قروح البرص ، فى وجه السليم
فى يد القاتل ، فى نجع القتيل
فى سرير العرس ، فى نعش الفطيم
فى يد المحسن ، فى كف البخيل
فى فؤاد الشيخ ، فى روح الصغير
فى ادعا العالم ، فى جهل الجهول
فى غنى المثرى ، وفى فقر الفقير
فى قذى العاهر ، فى طهر البتول
واذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها الى أن تستفيق

***

وافتح اللهم اذنى
كى تعى دوما نداك
من علاك ..
فى ثغاء الشاة ؛ فى زار الاسود
فى نعيق البوم . فى نوح الحمام

فى خرير الماء ، فى قصف الرعود
فى هدير البحر ، فى مر الغمام
فى غنا البلبل ، فى ندب الغراب
فى دبيب النمل ، فى هب الرياح
فى طنين النحل ، فى زعق العقاب
فى صراخ الليل ، فى همس الصباح
فى بكا الاطفال فى ضحك الكهول
فى ابتهالات العراة الجائعين
فى انتحاب الناى ، فى دق الطبول
فى صلاة الملك والعبد السجين
واذا ما قرب الموت ووافاها الصمم
فاختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم

***

وليكن لى يا الهى
من لسانى شاهدان
صادقان ..

ان أفه بالحق فليشهد معى
او أفه بالبطل فليشهد على
واذا ما قام غيرى يدعى
يا الهى الحق فى بطل وغى
فليكن سيفا لسانى حده
فى سبيل الحق ماض لا يهاب
لا يكف الضرب حتى ضده
ينثنى عن غيه نحو الصواب
واذا ما خان نطقى قلمى
فاراه البطل فى الحق الصريح
فى كلام الغير ، فاجعل من فمى
للسانى ايها البارى ضريح

فلســان يعلن الحق وســرا يذبحه
ليت شعرى غير صمت الموت ماذا يصلحه ؟

***

واجعل اللهم قلبى
واحة تسقى القريب
والغريب ..

ماؤها الايمان أما غرســـــــها
فالرجا والحب والصـــبر الطويل
جوها الاخـــلاص اما تـــمسها
فالوفا والصـــدق والحلم الجميـــل
فاذا ما مراح فـكرى عبثـــــا
فى صحارى الشك يستجلى البقـاء
مر منهوكا بقلبى فجتـــــــا
نائبـــا يمتص من قلبى الرجاء
واذا ما أمـــــــلى يوما متى
تائها فى مهمه العيش الســحيق
عاد لمـــا كاد يقضى عطشـــا
يحتسى الايمان من قلبى الرقيـــق
واذا الايمان ولى والرجا أضحى ضرير
فلينم قلبى الى ان ينفخ البوق الاخير

الخير والشر

ســمعت فى حلمى ويا للعجب
سمعت شــيطانا يناجى ملاك
يقول اى بل الف اى يا اخى
لولا جحيمى اين كانت سماك ؟

اليس انا توأمان استوى
سر البقا فينا . وسر الهلاك ؟

الم نصغ من جوهر واحد
ان ينسني الناس أتنسى أخاك ؟

***

فاطرق ابن النور مسترجعا
فى نفسه ذكرى زمان قديم
واغرورقت عيناه لما انحنى
مستغفرا . وعانق ابن الجحيم

وقال اى بل الف اى يا اخى
من نارك الحرى أتانى النعيم ...

وحلق الاثنان جنبا الى
جنب ، وضاعا بين وشى السديم

الطمأنينة

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود لست اخشى خطر
سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
من سراجى الضئيل استمد البصر
كلما الليل طال والظلام انتشر
واذا الفجر مات والنهار انتحر
فاختفى يا نجوم وانطفىء يا قمر
من سراجى الضئيل استمد البصر

باب قلبي حصين من صنوف الكدر
فاهجمي يا هموم في المسا والسحر
وازحفي يا نحوس بالشقا والضجر
وانزلي بالالوف يا خطوب البشر
باب قلبي حصين من صنوف الكدر

***

وحليفي القضاء ورفيقي القدر
فاقدحي يا شرور حول قلبي الشرر
واحفري يا منون حول بيتي الحفر
لست اخشى العذاب لست اخشى الضرر
وحليفي القضاء ورفيقي القدر ...

الى دودة

تدبين دب الوهن في جسمي الفاني
واجري حثيثا خلف نعشي واكفاني
فأجتاز عمري راكضا متعثرا
بأنقاض آمالي واشباح اشجاني

وابني قصورا من هباء واشتكي
اذا عبثت كف الزمان ببنياني
ففي كل يوم لي حياة جديدة
وفي كل يوم سكرة الموت تغشاني

ولولا ضباب الشك يا دودة الثرى
لكنت الاقي في دبيبك ايماني
فاترك افكاري تذيع غرورها
واترك احزاني تكفن احزاني

وازحف فى عيشى نظيرك جاهلا
دواعى وجدى ، أو بواعث وجدانى
ومستسلما فى كل امر وحالة
لحكمة ربى ، لا لاحكام انسان

***

فها انت عمياء يقودك مبصر
وامشى بصيرا فى مسالك عميان
لك الارض مهد والسماء مظلة
ولى فيهما من ضيق فكرى سجنان
لئن ضاقتا بى لم تضيقا بحاجتى
ولكن بجهلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضدان قلب مسلم
وفكر عنيد بالتساؤل اضنانى
توهم ان الكون سر ، وانه
ينال ببحث او يباح ببرهان
فراح يجوب الارض والجو والسما
يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وكنت قصيدا قبل ذلك كاملا
فضعضع مابى من معان واوزان ...

***

وانت التى يستصغر الكل قدرها
ويحسبها بعض زيادة نقصان
تدبين فى حضن الحياة طليقة
ولا هم يضنيك بأسرار اكوان
فلا تسألين الارض من مد طولها
ولا الشمس من لظى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها
ولا الوردة الحمراء عن لونها القانى

وما انت فى عين الحياة ذميمة
واصغر قدرا من نسور وعقبان
فلا التبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوما غرابا ببلبل
وهل اهملت دودا لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعت شمسا لتحرق عوسجا
ونملا سطح الارض بالآس والبان ؟
لعمرك يا اختاه ما فى حياتنا
مراتب قدر أو تفاوت اثمان
مظاهرها فى الكون تبدو لناظر
كثيرة اشكال . عديدة الوان
واقنومها باق من البدء واحدا
تجلت بشهب أم تجلت بديدان
وما ناشد أسرارها ــ وهو كشفها ــ
سوى مشتر بالماء حرقة عطشان

نسيب عريضة

١٨٨٧ - ١٩٤٦

هذا الشاعر الهادىء العميق التفكير ، ظل فى صخب الحياة يفتش عن نفسه ، ويفتش عن الحقيقة حتى اضناه طول التفكير ، واضناه فى « طريق الحيرة » المسير ... وظل هائما بالجمال والحب والمعرفه والاشواق الى العالم الروحى البعيد : فما روى غلة ، ولا أشبع نهما

صاح ! هل تعرف نبعا ان شربنا منه نروى ؟
صاح ! هل تعرف حسنا يشبع النفس فنهوى ؟
صاح ! هل تعرف لحنا فيه للأرواح سلوى ؟

وكان بين مولده فى مدينة حمص السوريه : ووفاته فى مدينة بروكلن الامريكية واحد وستون عاما قضاها فى صراع بين المادة والروح ، وفى كفاح بين الشك واليقين حتى لقى ربه فى أول أبريل سنة ١٩٤٦ مغتربا عن حمص « ذات الاحجار السود » التى كان يتحرق شوقا اليها ؛ ولعله لقى الجواب الذى كان يسأل عنه قائلا

حنانيك أين الذهاب وأين مصير النفوس ؟
انجتاز هذا التراب لنبلغ سبل الشموس ؟

ولقد حير هــــذا الشاعر أمر النفس ومصيرها ، والروح وتلبسها بالجسد ، فأسمى ديوانه « الارواح الحائرة » ... ويشاء الله أن يكون هــــذا الديوان الحائر ، لهذه الروح الشاعرة الحائرة ، فى يد المجلد بالمطبعة عند ما لفظ الشاعر آخر أنفاسه ...

***

ولد نسيب عريضة فى حمص سنة ١٨٨٧ ، وتعلم فى المدرسة الروسية الابتدائية ، وفى مدرســة المعلمين الروسية بالناصرة بفلسطين ، وكان من زملائه فى هذا المعهد ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وتفرقت بهم السبل فى الحيــاة ، الى أن جمعتهم فى نيويورك فكانوا من دعائم « الرابطة القلمية » فيها ...

وكان نسيب أسبق من ميخائيل نعيمة فى الهجرة الى العالم الجديد ، فسافر ســـنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة ، واقام بنيويورك مشتغلا فى المتاجر والمصانع للحصول على رزقه . وقد عناه طلب العيش وانقلظهره فلجأ الى الادب والشعر والـكتابة يجد فيهــا تخفيفا لأوقار ظهره المنآد ... فأسس فى سنة ١٩١٢ مطبعة « الاتلانتيك » ، وفى ســنة ١٩١٣ اشترك معه نظمى نسيم فى انشاء مجلة « الفنون » الادبية بنيويورك التى حملت مشعل التجديد الادبى فى العالم الجديد ، وكانت مسرحا لاقلام كثيرة ناشئة أخذت تحتل بعد أرفع مكان فى الادب العربى الحديث ، وكان يلتقى فيها هزل هؤلاء الرواد الادبيين بجدهم ، وأحلامهم بآلامهم ... وماتت مجلة « الفنون » فلم يمت قلب « نسيب » وراءها ، لان عزيمته كانت أكبر من الموت ... واعادها الى الحياة ثانية بمعونة بعض أصحابه سنة ١٩١٦ ، ولـكنها لم تعش هذه المرة غير عامين اثنين ، فأثرت وفاتها فى

نفس المترجم له ، كما اثرت فيه وفاة شقيقه «سابا» الذى اخترم الموت شبابه الغض فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ...

***

وعاد نسيب الى الصراع الشاق فى سبيل الرزق من جديد ، ولكنه لما سئم عاد الى الكتابة والادب والشعر والتحرير ، فحرر فى « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » وهى أكبر الصحف اليومية العربية واوسعها انتشارا فى العالم الجديد ...

وفى الحرب العالمية الثانية اشتغل نسيب عريضة بالتحرير والترجمة فى مكتب « الانباء الامريكى » وظل فيه حتى انتهت مهمته بانتهاء الحرب ، وهنا كان الداء قد ألزمه الفراش ؛ فاعتزل الكتابة وهجر الشعر الذى طالما غنى ارق الالحان الصوفية على خمائله الى ان توفى سنة ١٩٤٦ ...

باقة من اشعاره

مناجاة

لاحت قصــور الخيال تعلــو متون الغمــام
يا اخت روحى تعــالى أطلت فيهـــا الغمام

***

يا اخت روحى اسمعينى من أوج تلك السماء
قــد كاد يقضى يقينى هلا اجبت النــــداء ؟
اراك لا تعــــرفينى أزال عنى البهـــاء ؟
اجــل ! نفســير كنهى مذ جئت أرض الشقاء
بدلت فيهــــا جلالى بحلة من عظـــــام
يا أخت روحى تعالى قــد اضــجرتنى الانام

***

ارنو بليـــــل كئيب وطرف جســمى كليـل
اصغى ! ترى من مجيب او من خيال جميـل
يلوح رجع ســـناه فى طى غيم ثقيـل ؟
وكيف والجو قفـــر بحار فيه الدليـــل ؟
يا ويح هـــذى الليالى أضحت لطرفى لثـام ؟
يا أخت روحى تعالى فالناس صرعى نيـام !

***

الناس ! من هم ؟ جسوم ضـاعت بهن النفـوس
ان يرقــدوا فنعيـم رقــادهم فى البـؤوس

وا حسرتا ! انا منهم ما دام جسمي اللبوس
نامـــوا ونعسي يقظى نهذى بذكر الشمـــوس
نرجو انتهــاء اعتقــالى لـكى تقض الخيـــام
يا أخت روحى تعالى نلقى اليك الخطـــام

***

كانت لها الشهب عرشا وكنتما فى اقتـــراب
فأهبــطت فهى تخشى وتنزوى فى الحجـــاب
تظـــل غرثى وعطشى لقوتها والشـــراب
تقتــات بالصــوم حينا وترتوى بالســـراب
عافت ثدى المحـــال ينز منهـــا الاوام
يا أخت روحى تعالى قد حان عهـد الفطام

***

يا اخت روحى الحزينة الى متى ذا الصدود ؟
أو انت مثلى سجينة قد اثقلتـك القيـود ؟
مرضت فى الارض يأسا ولا صـــديق يعود ؟
يا أخت روحى ! صبرا فالملتـــقى فى الخلود
لاحت قصـــور الخيال كومضـــــة فى الظلام
اكلهن خــــــوالى ؟ ما من يرد السـلام ؟

أيا نجمة

ايا نجمة ســـطعت فى الظلام
انيرى طريق فتى لا ينــام
فتى عذبتــــه النوى والهموم
فتى انقضتــــه امور جســام
انيرى طرقى خـــلال الرؤى
خـلال الشكوك ، خـلال السآم
لقـد طـال ليلى فهل من صبـاح ؟
وطال اضطرابى فهـل من سـلام ؟

أيا نجمة فى أعالى السماء
أطلت السكوت ، فهل من كلام ؟

على طريق أرم

تفتحت أعين الدرارى
واستيقظت أنفس الليالى
وهينمت فى الدجى الامانى
ورفرفت اجنح الخيال
وأفلت الحلم من عقال
فطار يسعى الى الجمال
فقم بنا يا سمير نفسى
نقفو الامانى الى الكمال
قم نتخذ للمنى جناحا
يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء دربا
نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى
بما حرمناه فى الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى
فالموت خير من الجمود

***

لى كل يوم هوى جديد
بلا وصال ولا لقاء
حولى مياه حلت وساغت
لكن قلبى بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت اجنى
من ثمر الحسن ما اشاء

لكن هوى النفس فى خيال
قد لاح للروح فى السماء
احن شوقا الى ديار
رايت فيها سنى الجمال
اهبطت منها الى قرار
امست به الروح فى اعتقال

اهيم فى الليل مثل أعمى
جاع ولا يحسن السؤال
يهزنى فى الدجى حنين
الى الذى مر من وصال ..

***

هل من سبيل الى رجوع
هل من طريق الى وصول !
تهيم نفسى ولست أدرى
بحاصل أو بمستحيل
يا صاح قد حرت ابن امضى
والسبل ضلت عن الضلول
فاستلمح البرق هل تراه
فانه أول السبيل
انظر فلى فى البروق سر
تعرفه النفس فى البروق
الا ترى البرق نار ركب
تقدمونا على الطريق ؟

من الف دهر والف دنيا
سموا الى المشرع الحقيقى
فسر بنا نقتفى خطاهم
نصر الى منبت الشروق

أم الحجار السود

صور تلوح لخاطر المعمود
ما بين أرباض المنى والبيد
خفاقة فيها بنود العيد
بسامة فيها ثغور الغيد
تجلو رؤى ماضي الهوى المفقود

وقف الفؤاد أسير بارق نارها
يهفو الى ما لاح من أسرارها
لمن الديار تذوب من تذكارها
من بعد طول نوى وفرط جحود
يا موثقا من شوقه بقيود ؟

يا قلب ما هذا الخفوق وما ترى
فيما توهمه الخيال وصورا
تبكي كأنك بعض أفئدة الورى
وظننت أنك صرت صلب العود
أشجتك رؤيا يا أخا الجلمود ؟

رفعت لطرفك من مكان قاص
تختال بين حدائق وعراص
أعرفت يا قلبي عروس العاصي
محبى امانينا ، ومحيا الجود ؟
ونعيم أرض بالوجود سعيد ؟

أعرفتها تلك الربوع العالية
ما بين لبنان وبين البادية ؟

الذكريات وقد برزن علانيــــة
نادين عنك بحسرة المطــرود :
يا حمص ! يا بلدى وارض جدودى !

جثمت بكلــكلها على درب الامم
جبـــارة من طبعها رعى الذمم
بلد الهدى أحجارها سود ؛ نعم
لله در ســـوادك المعبـــود !
يا حمص ، يا أم الحجار السود !

انسيم وعرك ما سمعت مهينما
ام روح ديك الجن من خلف الحمى
ام شيخنا الجندى حن ورنما
متغـــزلا بمعاطف وقـــدود !
بيضاء فى ظل الحجار السود ؟

ماذا يكابد فى النوى ويقـاسى
صب يحن الى حمى الميمـاس
والى الدوير ، الى ربوع الـكاس
وكناســها ، وغزالهــا الاملود !
والى مفـانى نعمـة وســعود !

حمص العــدية ، كلنا يهواك
يا كعبـة الابطـــال ان ثراك
غمـــد لســيف الله فى مثواك
ولــكم لنا من خشعة وسجود
فى هيكل النجوى ومن تمجيد !

رشـــيد أيـــوب

١٨٧١ – ١٩٤١

يذكرني هذا الشاعر الباكي الشاكي بشاعرنا حافظ ابراهيم ، فان كل قصيدة من شعره هي انغام من الاسى ، ونغمات من الشكوى الصاعدة من اعماق قلب حزين ، حتى أطلقوا عليه اسم « الشاعر الشاكي » . وقد كان ينفس عن الشكاة في شعره بالنكتة الحاضرة والفكاهة التي يرسلها في مجلسه . كما كان شاعر النيل حافظ ابراهيم في نكتته وفكاهنه في مجالسه . ويشهد له الاستاذ ميخائيل نعيمة بذلك في قوله عنه وعن عبد المسيح حداد بأن كلا منهما خفيف الروح ، حاضر النكتة ، لطيف المعشر ، فكم احالا العبوس في بعض الساعات الى حالات من الضحك ، وكم ساعة تدب ثوانيها في أصفاد من الهم والاسى جعلاها دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب (١) ... ولولا هذه الروح الخفيفة والنكتة الحاضرة عند أمثال رشيد ايوب وحافظ ابراهيم لكانت الحياة جحيما لا يطاق أواره ، ولا تحتمل ناره ...

ورشيد أيوب من السابقين الاولين الى الهجرة الى

---

(١) جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ، ص ٢٢٤

العالم الجديد ، كما كان من السابقين الى تأسيس « الرابطة القلمية » فى نيويورك سنة ١٩٢٠ ، فهو من السبعة الكرام الذين شهدوا أول اجتماعاتها كما اسلفنا فى فصل سابق . وديوانه « الايوبيات » من اقدم ما نشر من شعر المهجر . فهو يعود الى عام ١٩١٦ . وديوانه « اغانى الدرويش » المطبوع بأمريكا سنة ١٩٢٨ اشترك جبران فى وضع رسومه واطر صفحاته ، كما اشترك ميخائيل نعيمة فى كتابة مقدمته.

ولقد شهدت قرية بسكنتا ـ وطن نعيمة ـ مولد الشاعر رشيد أيوب سنة ١٨٧١ . كما شهدت مدرستها الصغيرة نضوج عقله . وفى سنة ١٨٨٩ رحل الى باريس واقام فيها ثلاث سنوات ، ثم تركها الى مانشستر واقام فيها نحوا من ذلك يشتغل بالصفق فى الاسواق تاجرا ووسيطا ومصدرا للبضائع ... ولكن الوطن دعاه فلباه ليمضى فيه ثلاثة اشهر فقط ، غادره بعدها الى امريكا حيث دعته الحياة من جديد ، وحيث دعته منيته ليدفن فى ثرى امريكا ، وفى أحضان بروكلن فى ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وعلى الرغم من اغراق رشيد أيوب فى ذكريات حزينة وتذكارات باكية ، وحنين الى فائت لا يعود ، ونواح على ماض يفضى الى حاضر مهموم ، فانه كان دائم التطلع والتشوف الى غد سعيد مرموق. ولعل ميخائيل نعيمة قد أنصفه حين قال عنه : « ان تكن فى شكواه مرارة الفشل ، ففيها كذلك حلاوة الامل ، وان تكن فى دمعته حرقة الاسى ، ففيها كذلك برودة التأسى » . ولهذا ليست شكاة رشيد أيوب مناحة على الحياة ، بل هى ادراك لسر الحياة ، وفهم للحياة على وجهيها. فأوتار حزنه كأوتار فرحه يضربان على قيثارة الحياة ،

وينبعان من قلب الحياة ... ومن هنا يجد المحزونون في شكوى رشيد ايوب سلوة لاحزانهم من هموم زمانهم . ولقد شارك رشيد في حركة الشعر المنثور بمقطعات اهمها الاعمى ؛ والشاعر ؛ والدرويش ؛ كما شارك في الشعر الوطني وشعر الحنين الى الاوطان ببضع من القصائد منها قصيدته « بلادي » التي يقول في مطلعها :

خلقت ولكن كي أموت بها حبا
لذاك تراني مستهاما بها صبا

وقد ترك الشاعر لنا ثلاثة دواوين هي «الايوبيات» و « اغاني الدرويش » و « هي الدنيا » الذي ظهر في العالم الجديد سنة ١٩٣٩ .

لعل غدى

دموع بعينى لم تجمـــد
ونار بقلبى لم تخمـــد
فيا دمع هل أنت من لجة
ويا نار هل أنت من موقد ؟
أصلى لموسى ، واعبد عيسى
واتلو السلام على احمـد
طلبت معينـا على الحادثات
فمر الزمان ولم إهتـــد
اذا ما تمشى بفكرى القريض
قرضت وصدرى عليه يدى
اقلب طرفى برحب الفضاء
وامضى حزينا الى مرقدى
اقول وامسى خان العهـود
ويومى كأمسى : لعل غدى !
فيا دهر ان اشك لا تغترر
فما أنا فى موقف المجتدى

الجندى والغدير

يا غديرا جاريا بين الحقـــول
فى سكون الليل ، ما هذا الخرير ؟

قل برب الخلق هل انت رسـول
رنة الافـلاك فى اوج الاثير ؟
ام فؤاد الصب من بين الطلول
يبعث الشـوق أنينـا وزفـير ؟
هل تقاسي وحشة الليل البهيم
وبنـات النعش فيه مؤنسـات ؟
مثـل صب كلما هب النسـيم
هاجه ذكرى الليالى المـاضيـات
ام كمشتـاق الى دار النعيـم
بعد ما قد مل من هذى الحياة
أنت تبكى مثل من يرعى العهود
انت مثلى ما تلا الليل النهار !
بدموع مـا لها الدهر جمـود
كدموعى خلقت للانحدار .
انما أنت الى البـحر تعود
وانا هيهـات عودى للديار

فراشتى

ماذا تقول فراشـتى ان رفرفت عند الصباح
ورات محاسن روضتى اودت بها هوج الرياح
فتنـاثرت أزهارها منهـا وفر هزارها ؟
ماذا تقـول اذا اتت من لم اجد عنها براح ؟
ورات كمنـجتى التى من كثر شوقى والنواح
قـد فحرتهـا نارهـا فتقطعت أوتارهـا ؟

***

يا ليت شعرى ما تقو ل اذا اتت ذات الوشاح
ودرت بـأن روايتى فى مسرح الغيد الملاح
قد اسبلت استارها وقد انتهت أدوارها ؟

غروب شمس الحياة

دنت المنيـة وانقضى عمرى
ونسيت ما قد كان من امرى !
غابت رســوم فى مخيلتى
كادت تضيء كانجم زهــر
وخبــا فؤاد كان مشتعلا
بالحب مثل النار فى صــدرى
ودوى نفسى الآن خارجـة
منى دوى الموج فى البحر
ماذا اذا رفع الحجاب غدا
القى وقد اصبحت فى القبر ؟

***

قد كنت حتى الامس مصطحبا
عزمى . شعورى ، همتى . لبى
ان قمت قام الحب فى اثرى
او نمت نام الحب فى جنبى
واذا بكيت بكيت منتحبــا
واذا ضـحكت ضحكت فى قلبى
فحسبت نفسى فى الهوى ملـكا
قد توجتـــه الاهة الحب
واليوم قد اصبحت منفردا
لم ادر كيف تفرقت صحبى !

***

انفقت هـذا العمر مكتئبا
وقطعت هذا العيش بالركض
ودرجت فى الدنيا على امل
باق ولو غيبت فى الارض

ما ضر نفسي والحياة مضت
فالى حيـــاة غيرها تمضى
فالنفس من اخـلاقها ابدا
ابدال ذاوى الغصن بالغض
والعين ان طال السهاد بها
عند الضحى حنت الى الغمض

***

دنيـــا وداعا ان ثويت غدا
وتقطعت فى القبر أوصـــالى
وتساءلت عنى الطيور وقد
تاقت الى شـدوى واعوالى
ورياضك الغنـاء قد عجبت
منى بانى مغرم ســـالى
قولى بانى قد رحلت الى
حيث الحمـام يفك اغلالى
ولحقت آمالى فقد سبقت
قدما غروب الشمس آمالى ...

ألم ترني ؟

الا ليت لى ما قد دعاه بنو الورى
حطـــاما فاعطى البائســـين وانفح
ســـــموح هو المرء المفرق ماله
ولـكن من يعطى من القلب اسـمح
الم ترنى والدهر أصـمى حشـاشتى
أعلم ورقاء الحمى كيف تصـــدح
اذا صـلحت بالمـــال نفس فانها
باعطـائها ممـا لديهـا لاصـلح

فما المال الا – بعد موتك – بارح
وما الجود الا صنع ما ليس يبرح . . .

النفس الهاربة

ضربنا بقرب السواقى الخيام
وبتنا هناك بظل السلام
الى ان تجلى لنفسى الغرام

ففكت سلاسل اغلالها
والقت الى بأثقالها

تمشت الى الروض عند الصباح
يموج على منكبيها الوشاح
فأصغت الى هينمات الرياح

وسارت على درب آمالها
تمس النجوم بأذيالها

تغنت بلحن بعيد القرار
كهمس السواقي وشدو الهزار
فلما توارت وشط المزار

ترى هلْ خطرت على بالها
بدنيا الهموم واهوالها ؟

الا اين كاسى وهاتوا الشمول
لأنعش قلبا عراه الذبول
الا ليت شعرى اما من رسول ؟

يذكر نفسى بأطلالها
وان غناها بأقلالها ؟

جبران خليل جبران

١٨٨٣ - ١٩٣١

لو أجيب اقتراح الفتى بطرس - شقيق جبران - يوم ميلاد أخيه لكان اسمه الآن « عنتر » بدلا من جبران ! ولكن الشيخ خليل والد جبران يقهقه حين يسمع باسم عنتر يتدفق من شفة أخيه الصغير ، ويقول : جبران أحسن من عنتر جبران جد العائلة!

وهكذا طلع على الدنيا الكاتب النابغة جبران فى ليلة من ليالى ديسمبر سنة ١٨٨٣ ، وفى أحضان قصبة « بشرى » من أعمال لبنان .. ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لجبران هى أبدع ما فى كتب التراجم فى الادب العربى ، فقد صور فيها حياته وموته ، وفنه وأدبه تصويرا حيا نابضا ، وصور لنا هذه الروح الادبية المفكرة التى اطلت على سماء الدنيا برهة ثم غابت الى حياة الذكريات . لقد تعلم جبران فى « مدرسة الحكمة » ببيروت - وهي مدرسة أخرجت شيوخا وعمالقة فى النهضة الفكرية - ثم رحل الى باريس فأقام فيها شهرا ، ومنها شد الرحال الى الولايات المتحدة ، فأقام فى مدينة بوسطن يشتغل بالكتابة والتصوير ، وقد كانت ريشته المصورة كريشته المعبرة ، تحلقان فى

سماء بعيدة من الخيال العميق .

وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه ، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على اجازة عالية فى التصوير من معهد الفنون الجميلة ، وفاق بالسبق والتقدم مئات من المتقدمين معه لهذه الاجازة الرفيعة من شعوب شتى . وفى مدينة العلم والنور بفرنسا اتصل جبران بالنحات العالمى الجبار « رودان » وزاره فى محترفه ، فأخذ الفتى العربى ببساطة الفنان الفرنسي وعظمته ، وهيبته ووداعته ، وسمع منه حديثا عن الشاعر الفنان الانجليزى «وليام بليك» وكيف التقى فيه الشعر والتصوير ... ومن هنا فتن جبران بالشعر ، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعا فى وليام بليك ...

وما خابت امنية جبران ، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر ، وان كان شاعرا تحرر من قيود الوزن والقافية الى أبعد الحدود . فانه يغلب على كتاباته وآثاره النثر الشعرى او الشعر المنثور ، اما الشعر المقفى الموزون فقد كان الكاتب النابغة مقلا فيه ، ولكن له مع ذلك قصيدته « المواكب » التى اجتمع فيها شعره ورسمه ، فقد زينت قصائدها أو مقطعاتها بلوحات فنية تدل على عبقرية الفكر والفن عند هذا الكاتب العظيم .

ولم يصادف أديب عربى من الرواج والقبول عند القراء ما صادفه جبران ، فقد جذب اسلوبه الشائق وطريقته المبتكرة كثيرا من المتشوقين الى ادب جديد ، ولم يقل حظه فى مؤلفاته الانجليزية عنه فى كتبه العربية. فقد فتن الامريكيون بمؤلفاته وعلى راسها « النبى » الذي بيع منه الى اليوم ٧٧٨٢٠٠ نسخة و « رمل

وزبد » الذي بيع منه ٣٢٩٠٠ نسخة ، و « التائه » الذى بيع منه ١٧٩٠٠ نسخة ، و « المجنون » الذى بيع منه ١٦٣٠٠ نسخة (١) ...

ولجبران الفضل كل الفضل فى تأسيس « الرابطة القلمية » بنيويورك ، فقد كان الروح التى تصل بين ارواح عمالها وأنصارها ، حتى اختاروه عميدا لها . ولا شك ان حركة التجديد فى الادب العربى ، وحركة الحملة على القديم ، وحركة التحرر من قيود الاساليب والوزن — بل التفكير نفسه — ستظل مقترنة باسم جبران ، على مدى الآباد والازمان ...

ومات جبران مهاجرا فى ابريل سنة ١٩٣١ بأحد مشافى نيويورك . وفى أغسطس من السنة نفسها نقل جثمانه الى لبنان ، حيث شيع فى موكب رهيب الى بلدته « بشرى » (٢) وهناك دفن فى ثرى الارض التى وهبته الى العالم الجديد ، ثم استردته الى أحضانها من جديد ...

(١) هذه الاحصاءات وصلت الى من الناشر « الفرو كنوف » بواسطة البروفسور ديتس سميث

(٢) زرت هذه القرية اللبنانية الجميلة فى اغسطس سنة ١٩٥٤ لاطلع على مافى متحف جبران من غوالى الآثار

باقة من اشعاره

ماذا تقول الساقية ؟

سرت فى الوادى وقد جاء الصباح
معلنا ســـر وجود لا يزول
فاذا ســـاقية بين البطـــاح
تتغنى وتنـــادى وتقول :

ما الحيـاة بالهناء انمـا العيش نزوع ومرام
ما الممات بالفنـاء انمـا الموت قنوط وسـقام
ما الحكيم بالـكلام بل بسر ينطوى تحت الـكلام
ما العظيم بالمقـام انما المجد لمن يأبى المقـام
ما النبيـل بالجدود كم نبيل كان من قتلى الجدود
ما الذليـل بالقيود قد يكون القيد أسنى من عقود
ما النعيـم بالثواب انما الجنة بالقلب السـليم
ما الجحيم بالعذاب انما القلب الخلى كل الجحيم
ما العقـار بالنضار كم شريد كان اغنى الاغنياء
ما الفقيـر بالحقير ثروة الدنيـا رغيف ورداء
ما الجمال بالوجوه انما الحسن شـعاع للقلوب
ما الـكمال للنزيه رب فضل كان فى بعض الذنوب

هـذا ما قالته تلك السـاقية
لصخور عن يمين ويســـار

رب ما قالتــه تلك الســاقية
كان من آســـرار هاتيك البحار

البلاد المحجوبة

هو ذا الفجر ! فقومى ننصـرف
عن ديار ما لنـــا فيها صـديق
ما عسى يرجو نبـــات يختلف
زهره عن كل ورد وشـــــقيق
وجـــديد القلب انى يأتلف
مع قلوب كل ما فيهـــا عتيق ؟
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى
وهلمى نقتفى خطـــــــواته
قد كفانا من مســـــاء يدعى
ان نور الصبح من آياته . .

***

قد اقمنـــا العمر فى واد تسير
بين ضــــلعيه خيــالات الهموم
وشـــــهدنا اليـــأس اسرابا تطير
فوق متنيـــــــه كعقبان وبوم
وشربنـــا السقم من ماء الغدير
وأكلنـــا السم من فج الـكروم
ولبسنـــا الصـــبر ثوبا فالتهب
فغـــــدونا نتردى بالرماد
وافترشـــناه وســـادا فانقلب
عنـد ما نمنـــا هشــيما وقتـــاد

***

يا بلادا حجبت منـــــذ الازل !
كيف نرجوك ومن اى ســـبيل ؟

أى قفر دونها أى جبـــــل
سورها العالى ومن منا الدليل ؟
أســـــراب انت أم انت الامل
فى نفوس تتمنى المســـتحيل ؟
أمنـــام يتهـــادى فى القلـــوب
فاذا ما استيقظ ولى المنـــام
أم غيوم طفن فى شمس الغروب
قبـــل ان يغرقن فى بحـــر الظـلام ؟

***

يا بلاد الفكر يا مهد الالى
عبـدوا الحق وصـلوا للجمـال
ما طلبنــــاك بركب أو على
متن ســـفن أو بخيل ورجال
لست فى الشرق ولا الغرب ولا
فى جنوب الارض أو نحو الشمال
لست فى الجو ولا تحت البحار
لست فى الســهل ولا الوعر الحرج
أنت فى الارواح انوار ونار
انت فى صـــدرى فؤاد يختلج

مسعود سماحة

١٨٨٢ - ١٩٤٦

اذا كنا نقيم وزنا لشهادة أعلام البيان فى رجال البيان ، فان شهادة المغفور له الامير شكيب ارسلان فى شعر مسعود سماحة تعد تزكية أدبية رفيعة لها قيمتها فى تقدير هذا الشاعر المهجرى الكبير .

ويعترف الامير شكيب بأن الشاعر مسعود سماحة هو فى هذا العصر من فرسان الحلبة التى تمثل فحولة الشعر العربى ؛ ولا ترضى من اللغة الا بالنسج الذى كان لها فى أيام الجاهليين والمخضرمين . والحق ان شعر مسعود سماحة يحمل طابع القديم ويعود بالقارىء

الى اساليب الاولين . كأن موجة التجديد الجارفة فى المهجر لم تأخذ صاحبنا فى تيارها ! وعلى الرغم من اقامته الطويلة فى أمريكا فانه لم يتأثر بانجاهات « الرابطة القلمية » فيها ، بل لم يكن — فيما يظهر من وثائق تكوينها — من عمالها ولا من أنصارها ، ولعل نزعة المحافظة قد باعدت بينه وبين التجديد فى عالم يموج بالجديد .

ولقد لقى سماحة من آلام الغربة الروحية والوطنية، وآلام الجهاد فى سبيل العيش ما انعكس فى كثير من

قصائده . ولما خانه الحظ فى حياة المتاجرة والصفق فى الاسواق عاد الى القلم يجد فى شبابه منفسحا للتعبير عن آرائه فى صراحة وجرأة واخلاص لوطنه . ولما عاد الى لبنان سنة ١٩٢٥ زائرا لقى من حالة التعس فى بلاده ما اثار قديم اشجانه فنظم قصيدة مؤثرة يقول فيها :

مشت القرون وكل شعب قد مشى
معهـــا وقومك واقفون ونوم
لم ترتفع كف لصـــفعة غاشم
فيهم ، ولم ينطق بتهديد فم

***

ويتجلى شعر المناسبات واضحا وكثيرا فى ديوان مسعود سماحة ، حتى لا يكاد يخلو حفل اجتماعى او وطنى فى أمريكا من قصيدة تنشد لهذا الشاعر ، فهو يستقبل عربيا وافدا الى امريكا ، او يودع راحلا ، او يهنىء صديقا ، او يداعب رفيقا . الا أن شعره الوطنى وقصائده الغزلية ومراثيه لكثير من الراحلين تدلنـا على روح وطنيـة عالية ، وعلى نفس رقيقة ، وعلى قلب وفى .

ولقد شهدت مدينة واشنطون كثيرا من نشاط هذا الشاعر الادبى والتجارى .. فقد آثرها على نيويورك ، وان كانت هذه الاخيرة هى التى اخرجت ديوانه الضخم الى عالم الوجود ، حيث طبع فى مطبعة جريدة «السمير» العربية التى يصدرها ايليا أبو ماضى .

وولد شاعرنا فى قرية دير القمر بلبنان سنة ١٨٨٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة غير مرة ، ولعله من اقدم المهاجرين اليها ، فقد كانت اولى رحلاته سنة ١٩٠٠ . وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى لبنان حيث انشأ فى سنة ١٩١٠ جريدة « دير القمر » مشتركا مع الاستاذ نعوم

افرام البستاني . وعاد الى امريكا قبيل الحرب العالمية الاولى ـ سنة ١٩١٣ ـ مشتغلا بالتجارة ، الا انها لم تصرفه عن رسالة الشعر الجميل ... ولقد قدرت الولايات المتحدة جهود الشاعر فأنعمت عليه ولاية كنتكى برتبة « كولونل » . وفى خلال الحرب الثانية اشتغل الشاعر محررا فى جريدة البيان النيويوركية التى انشأها سنة ١٩١١ الاديبان سليمان بدور ، وعباس ابو شقرا ، الى أن ادركته المنية فى سنة ١٩٤٦ وهو عامل فى تحريرها . وللشاعر منظومات غنائية رقيقة فى الانجليزية ، وقد لحنت احدى شركات الموسيقى فى شيكاغو سنة ١٩١٨ اغنية له عنوانها : « عندما تكون انت وانا واحدا » .

باقة من اشعاره

اللــــــه ..

الملك ملــكك والبهــــــاء بهاكا
والارض أرضـك والسماء سماكا
الــكون مع ما فيه من متحرك
او ســـاكن قد كونته يداكا
نظمت أمكنة النجوم وســيرها
والارض . والقمرين ، والافلاكا
لا مسعف الاك . لا متســـاهل
الاك . لا متســــــلط الاكا

***

تهوى العروش وعرش مجـدك ثابت
وســـواء ملــكك كل ملك فان
ســلطان مجدك انت فيه أول
لا رأى فيــــما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن فى الورى
والنور بعض بهاك والقمـــران
لا العقـل يدرك كنه سرك ، لا ، ولا
تلقى جمالك مقلتا انسان . . .

***

والملحــــــدون وكلهم متجاهل
أو جاهل لا يقبــل البرهانا

قالوا الزمان هو الرقى وقولهم
يوهى الجحود ويدعم الايمانا
من اوجد الاسماك فى أبحارها
من كون الاجسام والانسانا ؟
من قيد الابحار فى قيعانها
من نظم الافلاك والاكوانا ؟

***

حارت عقول الباحثين وقصرت
وسواك كل عاجز ومقصر
لم يعثروا الا بما أوحيته
وأذعته لهم ، ولما يعثروا
ما قصروا فى البحث . لكن لم تشأ
رفع الحجاب عن المصون فقصروا
لو رمت كشف حجاب سرك للألى
بحثوا لأبصره الذى لا يبصر

***

رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية
منها ، ولم يشكل عليهم أمرها
والكيميا دانت لعلمهم ولم
يغمض عليهم حلوها أو مرها
قاسوا البسيطة برها وبحورها
وعنا لهم قر الفصول وحرها
لكن بعض سرائر حجبتها
طمست عقولهم وحلق سرها . . .

***

هذا باطمار يطوف وغيره
بالفرو والخز الموشى يرفل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن

هـذا بلا حول ، وهـذا احول
هـذا فضولى ، وهـذا فاضل
هـذا نطـاسى ، وهـذا أخطل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى
أن يذعنوا لعلاك . لا أن يسـالوا

***

لك رحمـة فيهـا اليراع مقصر
وبيان أرباب الفصـــاحة أعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة ما بقى
فى الارض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصـيرهم
لجهنم ، وســواك كل مجرم
حاشى لرحمتك العجيبة أن نرى
نفسا وانت صنعتها تتألم . . .

***

ضل الغنى بماله . ولو اهتدى
لراى الغنى بازاء باب المحسن
اعطيتـــــــه مالا فمجد ماله
لا مؤمن بالتبـر فيـك بمؤمن !
لم يدر ان المقتنى يفنى ونو
ر علاك وضـاح ويفنى المقتنى
والموت قد سـاوى الورى ففقـيرهم
ينجرع الـكأس العتيـدة كالغنى

لو ملـكت الدنى

لو ملـكت الدنى سماء وأرضـا
لوضــــعت الاكوان بين يديك !

ولقلدت جيدك الشمس والبد
ر وصفت النجوم فى قرطيك
واخذت السواد من لمة الليـ
ـل والقيته على فوديك
ولحكت الضباب ثوبا وبردا
ووضعت النسيم فى برديك !
وجعلت الورود حولك تنمو
واحمرار الورود فى خديك
ووضعت الجلال فوق محيا
ك ولمع البروق فى عينيك
واخذت الجمال من روعة الفجـ
ـر وحولته الى صدغيك
واخذت ابتسامة ابنة خمس
طابعا مثلها على شفتيك
ومزجت الرقى بطلسم سحر
ووضعت المزيج فى مقلتيك !
وجعلت السلام فرشا وثيرا
ورميت الهنا دنارا عليك !
ومددت الطريق درا وماسا
ووضعت الياقوت فى خفيك !
وتثنى الغصون ما بين جنبيـ
ـك وشكل السيوف فى حاجبيك !
ولألقيت ما ملكت ، وزندى
وفؤادى ، والروح فى راحتيك !
وفعلت الذى فعلت لعلى
اسعد النفس بالوصول اليك ...

محبوب الخوري الشرتوني

١٨٨٥ - ١٩٣١

لم تشهد سماء الولايات المتحدة نجم هذا الشاعر الا وهو على أبواب الافول فى مستشفى «مايو» الشهير بمقاطعة روتشستر سنة ١٩٣١ ، أما سماء المكسيك وأرضها ، وأغوارها وأنجادها فقد شهدت حياة هذا الشاعر مجاهدا فى سبيل الرزق ومشاركا فى رسالة الفكر والادب والصحافة العربية . وقد تقسم قلبه صراع بين المادة والعلم ، حتى استهوته التجارة فى بلاد المكسيك فجمع منها ثروة طائلة ، ولكن الدهر كان راصدا له فنكب فى ثرواته غير مرة ، بالحريق مرة ، وبالاغراق ثانية ، وبأيدى اللصوص ثالثة ... وفى المرة الاولى استقبل الحادث بقصيدته المشهورة التى قال فى مطلعها :

حلم جميل من ذهب   ما زارنى حتى ذهب !

وحياة هذا الشاعر سلسلة من ذلك الكفاح الطويل الذى يبدو لنا فى شعراء المهجر جميعا ، فهو ينتقل من التعليم فى لبنان ، الى الكتابة والشعر والتجارة فى المهجر الشمالى ، الى الصحافة التى اسهم فيها باصداره جريدة « الرفيق » العربية بعاصمة المكسيك سنة ١٩٢٥ وليست « الرفيق » سوى واحدة من خمس عشرة صحيفة يصدرها العرب فى المكسيك

منذ سنة ١٩٠٥ الى زماننا هذا . وكان المترجم له صحفيا بطبعه ونشاته فى ارض وطنه ، قبل أن يشارك فى الصحافة العربية فى المهجر ، فقد تولى - قبل هجرته الى أمريكا - رياسة تحرير صحيفة « لبنان » فى مدينة بعبدا اللبنانية ، وهى الجريدة التى أنشاها الكاتب ابراهيم الاسود . وقد حولها المترجم له من صحيفة للأخبار الى معرض انيق للآثار الادبية والافكار.

اما حياته فى التدريس فكانت نموذجا للمدرس الذى خلق بطبعه ليكون مدرسا ، ومن هنا فتحت له مدارس بيروت أبوابها ليؤدى فيها رسالة المعلم الناجح، فدرس فى المدرسة البطركية والمخلص والفرير والكلية اليسوعية ومدرسة الحكمة التى تلقى فيها العلم شابا ، بعد أن رضع لبان التعليم الابتدائى فى مدرسة الفرير ومدرسة « قرنة شهوان » .

ويغلب على محبوب الشرتونى شعر المناسبات كما غلب على شعر مسعود سماحة ، وكانهما كانا يمتحان من نبع واحد فالشعر الوطنى والاجتماعى والغزلى وشعر المراثى والمناسبات هو طابع الديوان العام - ذلك الديوان الذى ظهر مع ديوان مسعود سماحة فى عام ١٩٣٨ وطبع فى مطبعة جريدة السمير للشاعر ايليا ابى ماضى ، الذى كتب مقدمة كشف فيها عن شاعرية المترجم له وتاديته رسالة الشعر والادب فى بلاد سلختـه فيها يد الزمان عن وطنه .

ولد محبوب فى قرية شرتون من أعمال قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٥، وكان الشعر يجرى فى دماء أسرته ، فأبوه شاعر فنان ، وجده كان امام الزجالين فى عصره ، وعلى الرغم من نزعته التقليدية المحافظة فى الشعر فانه يمثل لنا الشعر العربى المغترب فى بلاد المكسيك أصدق تمثيل

حلم جميل من ذهب (*)

حلم جميــل من ذهب ما زارنى حتى ذهــب
امسيت ذا نشب وقد طلع الصباح ولا نشب
ذعر النيـــام لصائح بالويل يصــرخ والحرب
النار تمعن فى الحمى والناس تمعن فى الهرب
والريح تلعب باللهيــ ـــب كأنه احدى اللعب
هجم السعير على المضا رب واللصوص على السلب
فوقفت أنظر ما الجحـ ــيم وما الابالس عن كثب
وحسبت أن الكون أجـ ـمع قد تضعضع واضطرب
ونظــرت نظــرة ذاهــل أودى بحكمتــه العجب
ثم التفت الى الورا ء وقست مرحلة الخبب
تلك الاباطح من جهــا د والبــواذخ من تعب

***

يا نفس لا تتــوجعى اخذ المهيمن ما وهب
ذهب السعير من العما رة بالهشيم وبالخشب
ومن الحطـــام براجع والجد يرجــع ما ذهب
ومن الــكتاب بكاغــد ومن البراعة بالقصــب
لا بالشباب ولا النشا ط ولا الذكاء ولا الادب
ويقيــم ذكرى فى المحا فل حيث لا يصل اللهب
انا فوق من كدس النضــا ر وان خسرت وان كسب
ان التفـــاوت بالعلو م هو التفاوت فى الرتب

(*) نكب الشاعر بحريق خسر فيه كل ماجمعه من ثروة في المهجر ، فنظم قصيدة منها هذه الابيات

جمال الربيع (*)

هو ذا الكون فى قشيب ردائه
والحلى ملء أرضه وسمائه
الحقول الخضراء ألقى عليها
باسط الارض مسحة من بهائه
وغمام السماء يبكى ولكن
تضحك الروض كلها من بكائه
ايه ما ألطف الربيع وأبهى
زهره وهو مشرف من خبائه
كشباب الفتى أنيق ولكن
لهف نفسى على قليل بقائه

***

يا رواسى الربى أنا ابن الروابى
وربيب الاشم فى عليائه
ذكرينى بموطنى وأرينى
مثلا من جماله وروائه
شاعر عن مضارب الريف ولى
ناشد فيك راحة من عنائه
جاء يشكو الى رباك هجيرا
كهجير الحجاز فى بطحائه
فامنحيه برودة ورفاها
وخذى من مديحه وثنائه
أيهذا القطار تسرع فى الحقـ
ـل فدعنى أهيم فى خضرائه

(*) يصف الشاعر رحلة فى القطار من تمبيكو الى سان لويس فى بلاد المكسيك

يذهب الطرف والخطى لمعات
فيرى ما أمامه من ورائه
أنت كالعمر ليس يمهل حتى
يتملى الشباب من أشيائه
ليتني كنت في الحياة هزارا
ناعم البال في فسيح فضائه
مطلق الجانحين فيه بعيدا
عن أذى المرء عن كثير جفائه
ليس يلهيه والحدائق ملأى
طلب القوت عن لذيذ غنائه
يرتدي من صنيع باريه ثوبا
ما ارتداه ابن آدم في رخائه
خلق الله للتوجع مني
شاعرا غير باحث عن دوائه
هو في الارض حيث كان غريب
ليس في اهله ولا عشرائه
كفراش الحقول ما هو الا
ضائع القلب ، شارد الفكر ، تائه
روحه ترقب البعيد وتشكو
قلقا في عروقه ودمائه

الحمامة الضائعة (*)

انابك خطب فلم ترجعي
أم الطير تنبو عن المرتع ؟

(*) كان الشاعر قبل مرضه يرى حمامة في البكور تتنقل امام ناظريه على مرتفعات الاسطح ، فلما شفي لم يقف لها على اثر فنظم هذه الابيات .

اسى يا حمــامة فى جانحى
وحزن تغلغل فى الاضــلع
ولو لم يعذب جفونى السقام
لجللت ذكــرك بالادمع
غداة تركت فراش الضنى
طلبتــك فى ذلك الموضــع

وساءلت عنك جهات الفضاء
فضاع الســؤال ولم ينفع
هو الفجر عودنى ان أراك
هنــاك على الحائط الارفع
فــكم طلع الفجر ثم انقضى
وعاد وعــدت فلم تطــلعى
لقــد كنت ذاك الانيس الاحب
اذا ما طفرت من المخدع

أمتع طرفى بنور الضــحى
وبالورد والحبــق الاضــوع
اجل ! كنت أبدع رســم يلوح
لعينى فى المشــهد الأبدع
فكنت أرى فيك رمز الوفاء
ورمز الطهــارة فى المنزع
وأبصر فيك رسول السماء
يحدث عن قــدرة المبــدع

وقوفك فى شرفات السطوح
وقوف شوقك أن تسجعى
كأنك فى أوجها شــاعر
أطــل على العالم الاوســع
وكنت اذا ما شققت الفضاء
بجانحك الخافق الطيــع

تصــورت انك طـير الخيال
يطـير بعيــدا عن المجمع

***

اذا كنت فى قيد هـذى الحياة
تعـــالى الى وعيشى معى
فانت هنالك رهن الخريف
اذا نقص الحب لم تشبعى
وليس هنـــالك أمن فان
رمتك يدا صــائد تصرعى

الغنى والفقر

ليس الذليــل هو الفقير بماله
ان الفقـــير بعقــله للذليـــل
الشوك محتقر وفيه خضـــارة
والورد محتـــــرم وفيه ذبول
هبط المسيح من السماء وما له
الا مغارة « بيت لحم » مقيل
واتى الحيــاة محمـد لا أمه
بنت الامير ، ولا أبوه نبيـــل

قالوا : تحب العرب ؟

قالوا تحب العرب ؟.. قلت : احبهم
يقضي الجوار على والارحـــــــام
قالوا لقد بخلوا عليك ، أجبتهم
اهـــــلى وان بخلوا على كرام

قالوا : الديانة ، قلت : جيل زائل
ويزول معه حزازة وخصام
ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين امام
قالوا : البداوة ، قلت أطهر عنصر
صفت النفوس هناك والاجسام
الاريحية والشهامة والندى
فى الارض حيث أيانق وخيام . . .
قالوا : الشآم ، فقلت : رؤية وجهها
كنز ، ولثم ترابها انعام
وطن لنا ذكراه نفحة عنبر
وحديث عودتنا اليه مدام . . .
أرض المهاجر نحن فى جنباتها
ريح تسير لغاية وغمام
واذا تمر بقرية عصفورة
فعلى السطوح وقوفها المام
نسمات واديها ، وعزلة عشها
ومروجها ، وسماؤها أحلام !

أحمد زكى أبو شادى

١٨٩٢ — ١٩٥٥

ان كل بقعة من الارض حل فيها الدكتور أبوشادى كان يخلع عليها من حيويتـه الدافقة ونشـاطه الذى لا يهدأ حلة تبرز فيها آثاره ومعالمه ... ولو أن للديار ألسنة ـ كما للناس ألسن ـ لنطقت بقاع من مشرق الارض الى مغربها بجهود أبى شـادى فيها ... لقد حل فى انجلترا طالبا للعلم من سنة ١٩١٢ الى سـنة ١٩٢٢ فظفر باجازة الطب ، ونال جائزة « وب » فى علم البكتريولوجيا ، وأسس جمعية النيل فى لندن ، وساهم فى تأسيس معهد النحالة الدولى سنة ١٩١٩ ، واشتغل بالتصوير ليجمع فى يده بين ريشة المصور وقلم المعبر .

وحل أبو شادى فى الولايات المتحدة مهاجرا من سنة ١٩٤٦ الى أن توفى سـنة ١٩٥٥ فمضى فى كهولته كما كان ماضيا فى شبابه ، فكتب فى الصحف العربية وغير العربية ، وجلجل صوته فى اذاعة « صـوت أمريكا » مرتين كل أسـبوع ، واختير عضوا بمجلس الرابطـة الدولية لحقوق الانسـان ، ودعته الهيئـات الامريكية والمؤسـسات الثقافية ليحاضر فى الادب العربى، وأسس

بأمريكا رابطة « منيرفا » الشعرية الادبية على نحو ما صنع فى وطنه مصر حينما أسس « جماعة أبولو » وأنشأ لها مجلة « أبولو » تنطق باسمها وتدعو لاهدافها سنة ١٩٣٢ .

وظل الدكتور أبو شادى فى حاضره المكتهل ، كما كان فى أفانين الشباب بأمسه ، وظل فى مهجره كما كان فى وطنه ، وكما كان قبل ذينك فى مفتربه بانجلترا ، ينظم الشعر ، ويرسل الاحاديث على أمواج الاثير ، ويلقى الخطب فى المحافل ، ويكب على ريشته وألوانه ، ويمضى فى موكب الحياة لم تفل الايام من حد عزمه ، ولم يحطم الزمان وترا من معزفه ، فقد نشر بالامس القريب فى أمريكا ديوانه « من السماء » سنة ١٩٤٩ ، واحتفلت جمعية الشعر الامريكى بتكريمه بمناسبة ظهور هذا الديوان فى سنة ١٩٥٠ . والتقى فى الحفل رجال من الشرق والغرب ، ومن العالمين القديم والجديد ليكرموا شاعرا مجاهدا عربيا .

وفى روضة الشعر العربى فى المهجر نجد هذه الدوحة المصرية الباسقة من بين دوحات وزهرات لبنانية وسورية ، واذا كنا وقفنا على أسباب الهجرة الى العالم الجديد عند السوريين واللبنانيين ، فان هجرة شاعر مصرى ــ وحده ــ الى أمريكا تعد حدثا أدبيا يستحق الاهتمام . ويحدثنا أبو شادى نفسه عن أسباب هجرته مع تمتعه فى مصر بمركز علمى ممتاز فى جامعة الاسكندرية ، فقد شعر ــ كما يقول ــ بأن الرجعيين والناقمين بدأوا يعرقلون جهوده ، ويسعون لمطاردته فى عمله الحكومى ، وبدأ الناشرون يرضون الرجعيين بالاعراض عن نشر كتبه ، وأحس بالغبن الذى لحقه فى عمله بالجامعة والاضطهاد الذى يلازمه ، وكاد

الهم والمرض يبخعان نفسه فلم يجد غير أمريكا ملاذا ومهربا ، فركب اليها البحر فى ابريل سنة ١٩٤٦ ، وبقى بها الى ان نادته منيته هناك فى شهر أبريل سنة ١٩٥٥ .

وكان آخر ما لقيه أبو شادى من الاحزان فى مصر هو موت زوجته قبيل رحلته الى العالم الجديد سنة ١٩٤٦ ، فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها :

أسديت عمرك للحياه فما وفت
ومضيت للابرار والشهداء
لهفى عليك وقد أتيت مودعا
فبكيت فوق جبينك الوضاء
زاد الممات جماله وتناثرت
منى الدموع عليك كالانداء

ان القيثارة التى وقع عليها أبو شادى كانت غنية بأخصب الالحان ، وقد الهمته أمريكا ديوانين مخطوطين هما ديوان « الانسان الجديد » وفيه نفحات من الشعر الوطنى وشعر الحرية التى ذاق حلاوة طعمها فى أمريكا وكانت دائما منى نفسه . وديوان « النيروز الحر » وفيه القصائد التى نظمها فى أمريكا من سنة ١٩٥٢ الى يومنا هذا .

ولعل ديوان « من السماء » هو أصدق مرآة للتطور فى شعر أبى شادى قبل هجرته الى أمريكا وبعدها بثلاث سنوات . ولعل الديوانين المخطوطين يكونان أكثر صدقا لانهما يغطيان من عمر الشاعر فى مهجره سنوات أطول.

ولم يستطع أبو شادى ــ على الرغم من نزعته التجديدية البعيدة ، وعلى الرغم من وجوده فى جو المهجر الامريكى الجديد ــ أن ينسلخ جملة من شعر المناسبات الطارئة ، والحفلات العارضة . فله قصائد

فى ذكرى المهرجان اللبنـانى الذى أقيم فى ترنتون نيو جرزى سنه ١٩٤٦ ، وفى تحيه صحيفه « الهـدى » العربيـه النيويوركية بعيـدها الخمسينى ، وفى مدح حسنى الزعيم ، كما ان له مراثى للشـاعر نسيب عريضه ، وعبد المنعم رياض ، وخليل مطران .

لقد كانت جوانب الدكتور زكى أبى شادى متعددة فى الحياة ، فكان طبيبا وبكتريولوجيا ونحالا ورسـاما وأديبا وشاعرا . وقد تعددت دواوينـه المطبوعة كما تعددت جوانب حيـاته . فله « أنداء الفجر » و « الشفق الباكى » و « الينبوع » و « الشـعلة » و « أشعه وظلال » و « فوق العباب » و « أطياف الربيـع » و « عودة الراعى » و « من السـماء » وغيرها ، وله من المؤلفات العلمية والادبيـة غير ذلك كثير . ونشاطه فى الصحافة الادبية الراقية تشهد به مجلات : أبولو ، والامام ، وأدبى ، ومملكة النحل .

الحق ان مصر كانت أولى أن تضن بأبى شادى أن يخرج منها ، أو يرحل عنها . ولـكن أمريكا استقبلته ــ كما استقبلت شعراء المهجر من قبله ــ وقابله هناك اخوانه العرب فى مهجرهم بهذه الروح التى تبدو فيما كتبه الاديب المهجرى الـكبير الاسـتاذ عبد المسـيح حداد قائلا : « ونحن أدباء المغترب الامريكى قد وجدنا به الاخ الحبيب ، بل العليم اللبيب ، الذى أحسن ردنا عن سبيل الفناء الادبى ، الى سبيل اعادة الحياة لادب العرب ، فى هذا المغترب » .

لقد كان أبو شادى يفجأ الناس دائما بحياة جديدة فى ميدان جديد من ميادين العمل المتعددة ، فشاء الله أن يفجأه الموت فى مغتربه بواشنطن يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٥٥ .

باقة من أشعاره

نيويورك

نسيت الجنان وسكانها ومن ألهموا الشعر ايمانها
وآثرت عاصمة للكفاح وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس فى الخالدات تخذن الشوامخ عنوانها
وقدسن مسترسلا فى الطموح أجاد ، وأعلين انسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود وان سود الدهر جدرانها
تلألأ فيها مكان الخشوع وان زعموا المال ديانها
وللعلم فيها حياة الجموع وان حسبوا اللهو ميزانها
وللطب آياته فى سطوع تضاعف بالشيب شبانها
وللفن منزلة فى الذيوع كأن الهواء الذى صانها
وللهو غايته فى الشيوع ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات قرونا تكرر أقرانها
وشتى معابدها الحاليات ترتل للسلم ألحانها
وأبقى معاهدها المعجزات جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رغم هذا الكفاح ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعز بها والمرتل فرقانها
أغنى لها صلوات الشكور رأى فى المصاعب احسانها
وأمشى على الطرق الصاخبات فخورا أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات قصائد زين ديوانها

كأن السناجيب أطفالها ... جعلن الاراجيح اغصانها
كأن الغرانيت فى ارضها ... صوامع حجبن رهبانها
معابد لا معبد للجمال ... يمس المطوف اركانها
ومن حولها العشب جم الر ... فيف يجاوب بالعطف تحنانها
كأن الازاهر يقظانة ... ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب فى شدوها ... ندامى تسامر ندمانها
كأن الطيور بتفريدها ... تلقن للشعر اوزانها
كأن الاشعة رسل الطبيعة ... تحمل للنبت الوانها
وتضفى على الصخر تحنانها ... وتلقى على الماء نشوانها
اطوف بها لاهيا ضاحكا ... كأنى منتهب حانها
وان كان صفوى الذى لا يمل ... عبادة من عز أوثانها
ومن للوحوش باقفاصها ... رأى اخوة اسعدوا شانها
فما زارت مرة فى شجى ... ولا عرف الهم خرسانها
وماشمخت ناطحات السحا ... ب على السفن تمخر خلجانها
وان سكنت فوق قطر تسير ... شياطين نافسن شيطانها
تسير بجوف الثرى كالبروق ... وقد تتجاوز امكانها
حياة تكرر فيها الحياة ... وهيهات نقدر أثمانها
وعمر تجاوز عمر السنين ... ودين تشرب أديانها

ربيع الحر

ربيع الحر أشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع
ولا تحجب حياء كالعذارى
سناءك أو صلاتك عن سميع
لقد نم الاريج عليك لما
أريق شفاعة الحب الصريع
ونم عليك همس من غصون

ووسوسة البراعم فى خشوع
وسفسفة الغرام تدوب لحنا
بامواج الضياء على الزروع
وآمال السلام وقد تراءت
نجوما فى السماء وفى الربوع
وتحنان الجماد لكل حى
يرف بلهفة الطفل الرضيع
وانداء الصباح مضمخات
بعطر الحسن فى نسق بديع
وآلاف الروائع سافرات
وان خفيت عن الحسن الوضيع
يفيض الجو سحرا عبقريا
تفرد بالاصالة والنزوع
كأن جميع آلهة المعانى
حبته كنوزهن على الشيوع
كأن الكون يخفق فى حبور
خفوق الشعر فى الروح الرفيع
تقدس كل شىء فى عيونى
وقد ران الجمال على الجميع
فكيف اذا سفرت لنا فتيا
بثوب العرس تخطر فى الجموع ؟
وكيف اذا الاناشيد الغوالى
اغثن الروح من ظمأ وجوع ؟
ولقن العبادة كل قلب
واطلعن الشموس من الشموع ؟

***

ربيع الحر اشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع

كلانا كان فى عنت وضيق
يعانى الاسر فى سجن منيع
وكنت معذبا شاهت نهاه
وكنت ضحية القدر الفظيع ...
فعدنا اليوم يجمعنا اخاء
وأرض لم تسخر للرقيع ...

من وحي الخريف

وافى الخريف فوافت للندى صور
من الجمال على عشب واوراق
كأنما أودع العشاق انفسهم
بها ، فما كشفت يوما لاحداق
تلالا الحب فيها وهى باسمة
تبسم السحر فى الحاظ عشاق
ما للعناكب قد فازت بحيلتها
وللحشائش قد رفت باشواقى
ولم أزل فى ظمائى غير مدكر
وما يبالى الندى همى واخفاقى
ان داعبتها خيوط الشمس راقصة
ذابت نضارا حيال اللؤلؤ الباقى
ولم يعد من مرائيها سوى حلم
كأنما غيرتها فتنة الراقى
غاب الندى ونسيم الصبح يعلنه
سرا ابيح لوجد الشاعر الشاكى
تدرى العناكب ما يروى كما فهمت
كل الطبيعة هذا الصامت الحاكى

فان بكت بدموع للنــــدى ذرفت
فقبلهـــا ذرفت فى خاطرى البــاكى
كم للنسيم رســـــالات منوعة
يشجى الوجود لها أضعاف ادراكى
كأنما هى ألغــاز ووســوسـة
على حروب ، وحينـا همس نســاك
تعنو الفصون صـــلاة فى تجاوبها
وفى تبتلهــــــــا تودى باشراكى
فما أرى غير دنيـــا الحب ماثلة
فيمـــا أرى بين انداء وافـــلاك

الالوهة والكون

كل شىء فى الـكون سحر عجيب
والغريب القصى فيــــه قريب
يجهد العلم باحثـــا بينما وفــ
ـــق من قبـل واحتـواه الاديب
هكذا كل ذرة من كيـــــانى
تحتوى العالم العظيم الشـــان
انا فان وفى المـدى غـير فان
وكيانى هــذا الوجود الرحيب
والاله العظيم هــذا الضـــياء
ومعانيـــه اجملتهـــا الســماء
لا ابتـــداء له وليس انتهاء
او شروق لوحيـــه او غروب
كل شىء من حولنـــا يتحول
ولو ان الخلود طبـع مؤصـــل

سـوف نحيا على ضروب تشكل
بينما الاصـل واحـد والضروب
لبنـــات الوجود موج يدور
قد تجلى به الاله القـــدير
والجمـــال الذى به نسـتنير
غاية للوجود لا تسـتـريب
هو فن ثوى به الفنـــان
هو كون أرواحـــه الابدان
هو معنى ما فاته الامعـــان
وتنـاهى اليه شـــعر حبيب
ما ابتهـالى الا ابتهـال لنفسى
فأنا ملهم جنـــانى وحسى
وحنــــانى الى الاله وقبسى
من سـناه اسـتجابة لا تخيب

الصعود

اسـفا ، أعود الى السما ء كما اتيت بنبع فنى
لم ألق فى دنيا الانا م سوى المهازل والتجنى
دنيـا تقوم على الدما ء وبالدماء هوى تغنى
وتدور طاحنــــة عقو ل النابهين ، وأى طحن !

ويسوسـها البلهـاء من غبن تعانيــــه لغبن
ومن الخـراب يهزها هزا الى ضغن وضغن
الارض كم شقيت بهم كشـــقاء موتور بأين

وهبت لهم أسنى الكنو ز فـكافأوها بالتـدنى
صلبوا المسيح وشردوا الـ احـرار بين الخافقـين
وحيـاتهم نقض الحيـا ة تسام فى شك ومين

كم أولعوا بالهدم والـ ـهدام لا يسمو ليبنى
ولو انهم عقلوا جنوا من نارهم جنات عدن
فالى السماء اعود لم يفن التـأنى والتمنى
فحروبها اجدى واو فى للحياة وكل فن
وسلامها أبقى وانـ ـقى للوجود المطمئن
ان تعتبر منفاى فا لمنفى أبر اذن بذهنى
ولعل امى الارض فى الـ ـحالين فى ذهنى وعينى

الفصل الثاني

شعراء المهجر الجنوبي

الياس فرحات

١٨٩٣

ان الشاعر الياس فرحات بين شعراء المهجرين الشمالى والجنوبى هو اقلهم نظما فى شعر المناسبات ،

واين من مناسباته القليلة المعدودة مناسبات الشاعرين محبوب الشرتونى ، ومسعود سماحة من شعراء أمريكا الشمالية ؟ أو مناسبات الشاعر الفحل رشيد سليم خورى ــ الشاعر القروى ــ التى ملأ بها أكثر من مائة وثمانين صفحة فى باب « المحافل والمجالس » فى ديوانه الضخم الكبير ؟

لقد اقل فرحات من المدح وشعر الحفلات والمواسم والمجالس والمراثى والمفاخرات ، واتجه بكل قلبه الى الشعر الخالص ، ولم ينظم فى المناسبة العامة الا اذا هزته هزا عنيفا . على أن هذا الشعر الصافى الحر لم يخل من خطرات الحكمة والمثل يرسلها الشاعر فى خلال القصيدة وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والامثال فى شعر المتنبى

واذا كان بين فرحات وبين المتنبى مشابه من المثل السائر والحكمة المرسلة ، فان بينه وبين زهير بن أبى سلمى مشابه من حيث تنقيح شعره ونخله قبل

نشره .. فقد اسقط من شعره ضعفى ما اثبته فى ديوانه المطبوع فى سان باولو سنة ١٩٣٢ . ولكنه لايزال الى اليوم — على كبره من السن جاوزت السبعين — يغنى أرق الحانه ، فلم يجف الوتر الصافى اللين الذى فى لهاته ... فله فى مجلة « الشرق » البرازيلية العربية الانيقة قصيدة فى عدد يناير سنة ١٩٥٤ يقول فيها :

فر عصفور شبابى من يديا
تاركا فى مهجتى جمرا ذكيا
طالما أوحى فغنيت على
مسمع الليل نشيدا عبقريا
كان ان أطلقته فى جنة
يلثم الزهر ويرتد اليا . . .

***

الفراشات اختفت مذ جف ما
كان فى روض الصبا غضا طريا
والظباء البيض ظمأى نفرت
خيفة أن لا ترى عندى ريا
يا فراشات الامانى ارجعى
ترجعى لليائس العيش الرخيا !

وقد يرجع المهاجر الغريب الى وطنه ، ويؤوب الى ارضه كل نازح ، ولكن الصبا الفض وفراشاته الحالمة لن ترجع ! ..

ولقد علمت الحياة الياس فرحات بدروسها وتجاربها اكثر مما علمته المدارس القليلة الضئيلة التى تعلم فيها المبادىء الضرورية من القراءة والكتابة ... فهو الوحيد بين شعراء المهجر الذى لم يتلق دراسة مدرسية منظمة متصلة ، فقد ترك مدرسة موطنه كفر شيما الى مدرسة الشويفات حيث أقام فيها سبعة أيام ، ومن

هناك انتقل الى مدرسة فى وادى شحرور لم يقم فيها الا شهرا واحدا! ودع بعده المدارس والتعلم وجرس المدارس المطرب فى السراح ولكنه اذا جد غير مطرب ، كما قال شوقى !

غادر فرحات وطنه سنة ١٩١٠ مهاجرا الى البرازيل ملتمسا الرزق طالبا العيش ـ كما هاجر اخوان له من قبل ـ فلقى من العنت والكفاح ومرارة الصراع فى الحياة ما لم يتغلب على روحه الشاعرة ، بل أحالها الى نغمة مؤثرة معبرة فى الادب العربى الحديث . وقصيدته « حياة مشقات » تصور لنا فى تعبير بليغ قوى قصة ذلك الكفاح المر الذى لقيه الشاعر فى المهجر ... فقد كان يستقطر ماء الرزق من صخرة قاسية ماشيا بين الفيافى والمروج الفساح ، أو راكبا عجلة تسير على الصخور الصلد ، وترقص فوق نواتىء الحصا فتكاد ترمى براكبيها الى الارض ... وقد كان يقضى الليل فى أكواخ خلت من اهلها ، وقام البوم عليها نادبا باكيا ، والنجوم تطل من سقوفها المثقوبة وجدرانها المفككة الاوصال . وهناك فى غمرة الصراع الاليم فى الحياة لم ينس فرحات وطنه لبنان ، ولا قريته الصغيرة اللبنانية « كفر شيما » التى أنجبت للأدب العربى آل اليازجى اللغويين ، وآل شميل المفكرين ، وآل تقلا الصحفيين الذين تشهد «الاهرام» فى مصر بعبقريتهم الصحفية فكان من اجمل هدايا كفر شيما للشعر العربى ان انجبت الياس فرحات ليحمل هو والشاعر القروى ـ ابن البربارة ـ راية الشعر فى أمريكا الجنوبية ...

وفى سنة ١٩١٦ ـ وبعد بضع سنين من الهجرة ـ لم يكن الياس فرحات فى روضة الشعر العربى فى المهجر

الجنوبى الا نباتا غضا ضئيل الورق نحيل الساق، فاذا به بعد ذلك دوحة باسقة أو طائر غرد قوى الجناح بعيد التحليق يسمعنا ارق الالحان فى عبارة بليغة ، وقافية متمكنة رصينة غير قلقة ولا نابية ، وفى نسج محكم مسرود ، مع أنه غادر لبنان غلاما ينظم الزجل العامى ، ويقرأ الميسور من المكتوب ، ويجهل أصول العربية ــ نحوها وصرفها وبيانها ــ جهلا يكاد يكون مطبقا ...

وفى السنة التاسعة من هجرة فرحات الى البرازيل اشترك مع توفيق ضعون ، الاديب الناقد المتمكن ، فى انشاء مجلة « الجديد » التى ظهر أول أعدادها سنة ١٩١٩ . ويظهر أن الصحافة ــ كالتجارة ــ تجرى فى دماء اللبنانيين وبين أصلابهم ! وظلا يعملان فى «الجديد» الى أن انفرد توفيق ضعون باصدار مجلة «الدليل» فى أول ابريل سنة ١٩٢٨ .

وللشاعر فرحات قصيدة « خصلة الشعر » التى سارت مسير الشمس فى الآفاق منذ أكثر من ثلاثين عاما ، فاتخذها الشباب العربى ترنيمة لحبهم ... ولم نثبتها هنا لانها ليست من أروع ما نظم ولا من أرصن ما قال ، وقد كاد هو نفسه يسقطها من ديوانه الذى طبع سنة ١٩٣٢

ولقد حالفت الايام ــ بأخرة من العمر ــ الشاعر فرحات ، فقر قراره فى بيت ابتناه فى احدى البقاع بالبرازيل ، وأذن الله للشاعر الجواب أخى الاسفار فى الفلوات أن يهدأ ...

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ولقد أحسن الشاعر فرحات حين طبع شعره كله أخيرا فى أربعة دواوين ظهرت فى سان باولو بالبرازيل

سنة ١٩٥٤ ، تحمل الاسماء الاربعة التالية «الربيع» و « الصيف » و «الخريف» . و « رباعيات فرحات» .

وقد ترك الشاعر الشتاء ، ولعل بيتيه فى اول ديوان « الربيع » يعللان هـذا الترك اللطيف

هـذا الربيـع نظمتـه مترنحا
والنفس تمرح فى ربيـع صبائها
فاذا بلغت شـتاءها حدثتـكم
عن صيـفها وخريفهـا وشـتائها

وفى سنه ١٩٦٤ صدر عن دار الراصد ببيروت كتاب « عودة الغائب » وهو الكتاب الذى يصف فيه الشاعر رحلتـه من المهجر الى أرض الوطن ؛ كما يصف الاحتفالات التى اقيمت لتكريمه فى لبنان وسوريا ومصر عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ . كما اصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومى بسوريا كتابين اولهما «قال الراوى» سنة ١٩٦٥ . وهو مذكرات وسيرة حياة ، ورحلات . وثانيهما ديوان « فواكه رجعية » سنة ١٩٦٧ وقد كتب مقدمته الاستاذ وديع فلسطين .

ويمتاز فرحات بخفة ظـله فى نثره كما هو خفيـف الظل فى شعره ، ولقد انعقدت بيننا وبينه مودة لمـا جاء الي مصر زائرا سنة ١٩٦٠ أشـار اليها فى كتابه « عودة الغائب » ، ولما اقعدته ظروف طارئة عن ان يستقبل ابنائى الثلاثة المهندسـين المغتربين بالبرازيل سنة ١٩٦٨ : نبيل وزوجته بشرى ، ويحيى ، وهانىء اراد ان يعتذر من ذلك شعرا ؛ فكتب الى الابيـات التالية

محمد اهلا « بالنبيل » وزوجه
وصنويه . أهلا بالشباب المهذب !

لئن كنت لم اذهب اليهم فانني
لأذهب فى تقديرهم كل مذهب
ابوهم له عنـدى أياد وشيمتى
نرد الى الابنـاء ما كان للاب
ولـكن دهرا كبلتنى صـــروفه
وصالت على ضعفى بناب ومخلب
اقام قصورى حائلا دون رغبتى
واوقف عجزى حائطا دون مأربى ...

السكرة الخالدة

سكرت بعينيك منـــــذ الازل
وها انا فى سـكرتى لم أزل !
الا تذكرين الزمان القــــديم
الا تذكرين العصـــور الاول ؟
الا تذكرين بأنا وجـــــدنا
محبين قبــــل وجود الغزل ؟
وانا سـهدنا سـقوط العروش
وانا شـــهدنا قيـام الدول ؟

***

تحولت فى الروض من زهـرة
الى نحلة لا تطيـق الـكسـل
وكنت رفيــقك فى الانقــلاب
وعونك عنـد ازدياد العمـــل
نطير الى الروض عند الصبـاح
وننقــل من زهرها ما انتقــل
ونحتال فى صنع تلك الشـهاد
وان قوام الحيـــاة الحيـل
ومن ذلك الوقت كنت تحليـــ
ـن من صدر صبك أسمى محل

وفاجأنا الموت يوما فمتنا
ولكن مماتا قصير الاجل
وكان الوجود الجديد نعيما
لبسنا به زاهيات الحلل
فصيرنا الله زوجي حمام
نغنى الضحى ، ونغنى الطفل
وفي ليلة من ليالى الشتاء
وقد هطل الثلج مع ما هطل
أضعتك بين الغصون ومن
اضاع الرفيق اضاع الجذل !
فناديتك الليل حتى انجلى
وناديتك العمر حتى اضمحل

***

أخيرا خلقت بشكل امرىء
يقلب بين نيوب الوجل
ويذكر عهدا قديما مضى
فيذكر حبا قديما رحل
ففتشت عنك مأوى الحمام
زمانا فكان نصيبى الفشل
فعدت وفي مهجتى لوعة
أفتش عنك القرى والحلل
ولما التقينا بذاك المساء
وكنت كأنك نجم أطل
سألتك باللحظ هل تذكرين
الزمان القديم ؟.. فقلت أجل !

***

فيا لسرور المحب الذى
سعى يبتغى مبتغى فوصل

ويا لابتهاجي بفتانة
تعود العليل فتشفى العلل
يسائلني الصحب عن رسمها
وما رسمها صورة نبتذل
وان المصور مهما أجاد
تظل الاجادة دون الاقل
فكم صوروا المقل الساحزات
وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين
فهل صوروا طعم تلك القبل ؟

وهل من يصور نشر الورود
اذا صوروها حسانا ؟ وهل ؟
ولكنني شاعر بيراعى
كسوت المصور ثوب الخجل
فصورتها بجمال المعانى
ولونتها بمعانى الجمل !
ففى خلقها كل لطف النسيم
وفى خلقها كل أنس الحمل
وفى شعرها كل عطر الرياض
وفى ثغرها كل طعم العسل !

وفى لفظها خير ما فى الكروم
وما فى كئوس قسوس الجبل
وفى وجنتيها ، وفى مقلتيها
خضاب الحياء ونور الامل
تغنى فيأخذ عنها الهزار
وتمشى فيأخذ عنها الحجل
فيارب صنها لهذى الصفات
تصن صبها عن مهاوى الزلل !

الراهبة

أطلت من الدير عند الضحى
وفى ناظريها بريق الاسى
فتاة كأن الاله براها
ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها فى صباح الحياة
علا وجنتيها شحوب المسا
رماها الزمان بهجر الحبيب
فداوت ضلال الهوى بالهدى
تصلى فتحسبها دمية
من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع
فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها
وزهو الشباب وعز الغنى
واقسى من الحب كتمانه
وأنكى من الهجر فقد الرجا

***

ولما بدت شمس ذاك النهار
بدت خارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضممة
من الزهر تهدى لفادى الورى
فبينا تسير على مهلها
وتجمعها من هنا وهنا . . .
وقد عانق الورد فى كفها
حسان الشقيق عناق الهوى

رات زهرة فى أعالى الجدار
تداعبها نسمات الصبا
فاعجبها شكلها المستطيل
ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد فى قدرها أنها
تعز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها
وقالت بملء الحنان لها
اخية يهنيك هذا السمو
وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن أما كان أشهى لديك
جوار الازاهير بين الربى ؟
تحوم عليك بنات القفير
وتسعى اليك صبايا القرى
وتسمعك الطير انشادها
ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنت تعيشين فى عزلة
فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال
ومن يتنشق هذا الشذى ؟

***

وفى الليل سارت الى خدرها
وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام
تبين من حسنها ما اختفى
فمدت الى صدرها كفها
وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت
وكان الذى قيل رجع الصدى :

وأنت تعيشـــــين فى عزلة
فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هـــذا الجمال
ومن يتنشق هـــذا الشذى ؟

لولا ضميرى

توالت هموم الحيـــــاة عليا
ولولا ضـــميرى لعشت خليا

***

فـكم ثروة تعجز الحاســـبا
تســـلمت وهى لبعض التجار
فقلت أفر بهـــــا هاربا
فقال ضـــميرى حذار ! حذار !
فأرجعتهــــــا وغسلت بديا
ولولا ضميرى لـكنت غنيا . . .

***

وبكر أتت حجرتى موهنـــا
تقود خطاها غرور الصـــبا
فقلت : ســأبلغ منهـــا المنى
فقال ضـــميرى : ألست أبا ؟
فأغمضت عن حســـنها ناظريا
ولولا ضـــميرى جنيت الشهيا

***

وســـابقت فى الشـــعر فرسانه
فقصرت عن فارس مفـــــلح
فقلت : أعرقل ميــــــدانه
فقال ضـــميرى : ألا تستحى ؟

فعدلت حيب التفــــوق فيـــا
ولولا ضميرى تركت دويا . . .

***

شكوت ضـميرى شكوى الجهول
ونحت على الحظ نوح الغراب
فاسـمعنى الله صــوتا يقول :
اتشكو ضميرك يا ابن التراب ؟
ولولا ضـميرك ما كنت شـيا
ولو كنت من نيرات الثـــريا !

يا عيــد

يا عيــد لا تنـكر غنـاى فانما
أنا بلبل مسخ الزمان صـداحى
قد كنت أشرب بالشعور اذا دعا
داعى السرور ، وليس بالاقداح
واذا المرافع أقبــلت ألفيتنى
فيها أخا طرب ، طليق جناح ..

***

يا عيـــد عدت وادمعى منهلة
والقلب بين صـــوارم ورماح
والنفس يائســـة فليس بنافع
عذل العذول وغيرة النصـــاح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا
وكأنه بيت بلا مصبـــــاح

***

يمشى الاسى فى داخلى متغلغلا
بين العروق كمبضـــع الجراح

وتظل تلويني عواصـــفه كما
تلوى الرياح بواســق الادواح
وتشـــدني كف القنوط ملحة
فأطيــع خوف زيادة الالحاح !

***

يا عيد ليتك تحمل الاخبار من
متخلفين قســوا على نزاح !
ويلاه ! قلت قســوا وما ادرى أهم
فى الارض ام فى عالم الارواح
اماه ليت مع النسيم رســالة
تأتى فتــرجعنى الى افراحي !
مرت ليالى العيــد بى وكأنما
وجه العبوس بوجهها الوضــاح
وكأن زاهــر فِجـرهــا لـكآبتى
ليـل يعج بأقبح الاشـــباح

***

أنى التفت ارى الخلائق تحتسى
راح الصفا وانا المدامع راحى
فـكأنهم قــد أودعوا اتراحهم
فى مهجتى ، فتضاعفت اتراحى !

خيال الوطن

الى انتظــرت القمـر أشـــكو له أمرى
فازددت لمـــا ظهر جمــرا على جمـر
هــذا خيــال الوطن فى وجنــة البــدر
ســموه محوا ومن ســـماه لم يدر

***

هــذى سفوح التلال هــذى أعاليهـــا

هـذى عيون الجبال تجرى مآقيها
هـذى مراعى الظبا هـذى مآويها
هـذى ديار الصبا يا ليتنى فيها !

***

أهل الحمى . والحمى فى ذمة الله
والصب يشكو الظما والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى للكوكب الزاهى
يزجى البكا بالبكا والآه . . . . بالآه !

***

يا رب ! هـذا النوى يستنزف العينا
بنا فلج الهوى ما أصعب البينا !
ان كنت تأبى اللقا ما بين جسمينا
فاجمع بروح التقى فى البدر رسمينا !

***

جنات لبنان يا جنات لبنان
ان جف عنك الحيا رونك أجفانى
مدى ظلال الوفا فى ارض غسان
واحمى ثمار الصفا عن كل خوان !

***

جنات لبنان هـذى غوطة الشام
يختال فوق السهى ريحانها النامى
كم من فتى مهتد للمجد مقدام
يروى ثراها الصدى من جرحه الدامى . . .

منابع الشعر

يقولون عمن أخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر ؟

واين درست العروض وكيف
تلقفت هذا البيان الاغر
وما كنت يوما بطالب علم
فانا عرفناك منذ الصغر !

***

فقلت اخذت القريض صبيا
عن الطير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفى عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول
فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الاديب
يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتى
يكدن يفلقلنها فى الحجر !
وعن عبرات الحزانى الضعاف
ففى عبرات الحزانى عبر !

***

كذاك تعلمت نظم اللآلى
لفرط الغرام وطول السهر
فانى سهرت كثيرا وكنت
الى النيرات اطيل النظر
وان الكواكب كانت تغيب
وتبقى بقلبى جليل الاثر
فهذى القصائد منها السماك
ومنها الثريا ، ومنها القمر !

***

لئن كنت لم ادخل المدرسات
صغيرا ولا بعد هذا الكبر

فـذا الـكون جامعـة الجامعات
وذا الدهر اســـتاذها المعتبر
ففي المبـكيات بيـان جميـل
وفي المضـــحكات معان غرر

وفي كل ما يبـــصر المبصرون
دروس تنــــــار بهن الفكر
فمن يحى يوما ولا يستفيـ
ـد اعمى البصيرة اعمى البصر

حيـاة مشقاب

اراقب في الظلماء ما الليـل يحجب
وأقرأ في الاســـحار ما الله يكتب
واستعرض الايام يومي الذي مضى
دليــــل على يومي الذي اترقب
فلا تســألوا عني وحظي فاننــا
لأمثـال اهل الشرق والغرب مضرب
طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة
طويت بها الاصـــقاع اسعى واداب
اغرب خلـــف الرزق وهو مشرق
واقســــم لو شرقت كان يغرب
وانفر من واد لطـــود كأنني
وقد بوق الداعون للصـيد ربرب !

لئن غردت للشــــاعرين بلابل
فان غراب الشـــؤم حولي ينعب
وان كان علمـا ثابتـا قول بعضهم
لـكل امريء نجم فنجمي المذنب ..

ومركبة للنقـــــل راحت يجرها
حصـــانان محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء ، شدها
غرابيـــل أدعى للوقار وانســب !
جلســـــــت الى حوذيها ووراءنا
صـــناديق فيهـــا ما يسر ويعجب
حوت ســـلعا من كل نوع يبيعها
نتى ما استحل البيـع لولا التغرب
وراحت كأن البـــــر بحر نجاده
واغواره امواجـــــه ، وهى مركب
تبين وتخفى فى الربى وحيــــالها
فيحســـبها الراءون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغـاب والصبح مسفر
فتحسب أن الليــل لليـــل معقب
تمر على صم الصـــــفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق النـاتئـات من الحصى
فنوشـك من تلك الخـلاعة نقلب !

نبيت بأكواخ خلت من اناســـــــها
وقام عليهـــــا البوم يبكى وينذب !
مفككة جدرانهـــــا وســـــقوفها
يطل علينــــا النجم منهــا ويغرب
عليهـــا نقوش لم تخطط بريشـــة
تظن صباغا لونها ، وهو طحلب !

يغنى لنــــا فيهـــا الهواء كانه
ينومنا ، والبرد للنــــوم مذهب
فنمسى وفى أجفاننا الشوق للكرى
ونضـحى وجمر الســهد فيهن يلهب

ومأكلنا مما نصيد . وطالما
طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب !
حياة مشقات . . . ولكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبى وتعذب .

***

وقد نلتقى بعض الجميلات صدفة
فيطربننا والمبدع الفيد مطرب
وكل مكان فيه للحسن مرتع
وللطرف ملهى فيه للحب ملعب
وما تلتقى عينا فتاة حيية
وعينا فتى الا لكوبيد مأرب !
وهل انا الا شاعر لان قلبه
فليس له من صولة الحسن مهرب ؟
نفتنى من المدن العواصم عزتى
فرحت بأطراف الولايات اضرب
أعاشر من لو عاشر القرد بعضهم
لما رد عن « داروين » قبر مقبب
وانصت مضطرا الى كل أبله
كأنى بأسرار البلاهة معجب !
واكره اشياء رفيقى يحبها
وارغب فى اشياء عنهن يرغب
وارهب قطاع الطريق . . . وربما
تعمدت اظهار السلاح ليرهبوا . . .
فعز الفتى الطاوى الفيافى مسدس
كما ان عز الليث ناب ومخلب
وما صين حق لا سلاح لربه
وأضعف أنواع السلاح التأدب . . .

ولولا نيوب الاســـد كانت ذليـلة
ســـــاط . ونعنو للسكيم ونركب
وكم ظالم يستعبد النـــــاس عنوه
وحجته الـكبرى الحسام المشطب .

***

اقول لنفسي كلما عضـــــها الاسى
فالمها صبرا ففي الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والاذى
فحملك من الناس لا شك أصعب
فلولا اباء مازج الطبـــــع لم يكن
لمنـــــلي مجيء في البرارى ومذهب

ولولا رجائي أن نظلى بعيـــــــده
عن الضيم لم يوطـا برجلى سبسب
فلا تعذلى صحبا دروا بى وما عنوا
بأمرى فهم منى الى الفقر اقرب
ولا تأملى من غير صـحبى معونه
فما تخصب الـكفان والقلب مجدب

ولا ترتجى الاخـلاص من كل باسم
ففي الباســــمين المبغض المتحبب
ولو كان كل المظهـــــرين لى الوفا
وفيين لم يعجزك يا نفس مطلب . . .

عتبت على ناس أضــــاعوا مودتى
وكل كريم خانه الصـــــحب يعتب
فقـــــد زعموا انى هجوت حبيبهم
وانى ســـاهجو غـيره حـين اخطب
ولست بهجاء . . . ولـكنه الهوى
اذا قاد نفس المرء فالنـــور غيهب

انا من يرى ان الرياء معــــرة
وان خبيث القول فى الصدق طيب
وما انا الا كالزمان واهـــــله
أعاف واستحلى • وارضى وأغضب
فأى هجاء فى مقــــــالى لعقرب
له ولع بالشر ! انك عقـــرب !
فيــا نفس الا انت مالك واعلمى
بان كل برق غــير برقك خلب
تعبت اذ استنظرت خيرا من الورى
ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

يارسول الله (*)

غمر الارض بأنوار النبـــوه
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصــبحت
ترقب الدنيـا ومن فيهـا دنوه
بينما الكون ظـــلام دامس
فتحت فى « مكة » للنور كوه
وطمى الاســلام بحرا زاخرا
بأواذى المعـالى والفتـــوه
من راى الاعــراب فى وثبتهم
عرف البحر ولم يجهـل طموه
ان فى الاســلام للعرب علا
ان فى الاســلام للناس اخوه
فادرس الاســلام يا جـاهله
تلق بطش الله فيه وحنـــوه

(*) انشدها الشاعر المسيحى فى حفل عيد المولد النبوى بسان باولو

يا رسول الله انا امة
زجها التضليل فى اعمق هوه
ذلك الجهل الذى حاربته
لم يزل يظهر للشرق عتوه
قل لأتباعك صلوا وادرسوا
انما الدين هدى والعلم قوه

يا أمى !

قطع البريد على حلم لقاك
ونعى السرور الى حين نعاك
وا رحمتا لبنيك حولت النوى
أهداب أعينهم الى أشواك !
كانوا يرجون اللقاء فغيرت
مجرى الحوادث دورة الافلاك
فجعوك يوم دعت مصاحبة العلا
بفراقهم ، ففجعتهم برداك
ما كان اتعسهم غداة تفرقوا
عن عشهم والصادحات بواك
وأبو الصقور على فراق فراخه
فى غمرة مع دهره وعراك
يرجو فلا يسع الفضاء جناحه
ولكم رماه اليأس فى الاشراك
لهفى عليه مضى بداء حنينه
وبقيت صابرة على بلواك
ان كان أهلكه الفراق فانما
أمل اللقاء هو الذى ابقاك
انفقت عمرك ترقبين رجوعنا
وتجوس كل سفينة عيناك

وتحملين الريح كل رسـالة
خرسـاء لقنهـا فؤادك فاك
ما مرت النسمات بى عند الضحى
الا عرفت بطيبهـا رياك
والبـدر لم يظهر لعينى مرة
الا قرات بوجهـه نجواك !

وهواتف الروض الطروبة ما شدت
الا سمعت بشـدوها شكواك
اشقى النسـاء على الثرى أم قضت
ايامهـا فى وحـدة النسـاك
أبنـاؤها ملأوا البيوت وبيتهـا
خال من الحداث والضـحاك
سحروا بمزعوم الغنى فتحولوا
صورا على الجدران دون حراك
الاذن توهمها سماع حديثهم
والعين تنذرها نهاك ! نهاك !

ترنو الى الافق البعيـد بمقلة
تبغى احتـراق دوامس الاحلاك
وتسائل الاقمـار : أين محلهم
ومتى يكون من الاسار فكاكى
ركبوا الخضم الى النضار فليتنى
القيت نفسي فيه للأسـماك !
وقضت ملوعة الفؤاد وعينهـا
تجتال بين البـاب والشبـاك
اماه ! ليس على الغريب ملامة
بعض الذى يدهى الغريب دهاك
حمل الذى حملت من ألم النوى
وعنا لسيف الغربة الفتـاك

انا خدعنا بالسراب . . . وطالما
خدع الصدوق بمظهر الافاك
وجنى علينا المال شر جناية
والمال شيطان بشكل ملاك !
تنهار آمال الشباب لأنها
تبنى على اسس لهن ركاك
والدهر يأخذ من حياة ربيبه
ثمن الذى يعطيه من ادراك
شبنا وغيرت الخطوب وجوهنا
وتعكر الصافى ، وحال الزاكى
لم يبق فينا من طفولتنا سوى
ومضات برق من شعاع هداك
ربيتنا عربا ، وحولك نسوة
اولعن بالافرنج والاتراك !
وأريتنا أن الفضائل جمة
واحبهن اليك صون حماك
لبيك ! انك لو دعوت الى الظبا
والى المراقم ميتا لباك
زادت وفاتك فى الشآم جهادنا
من ذا يبيح ثرى يصون ثراك ؟ !

***

أماه يا فخر البنين تحية
منا عليك لها شذا ذكراك
حسب المهاجر لوعة أن الاسى
يقضى عليه ، ولا يرى مثواك !

وطن الجمال

احتفلت بلدة « كفر نشيما » فى لبنان صيف سنة

١٩٥٩ بعودة ابنها الياس فرحات لزيارتها بعد غربة امتدت الى تسعة وأربعين عاما . وفى حرارة اللقاء وابتهاج المحتفلين بأوبة الغريب ألقى شاعرنا قصيدة طويلة رائعة قال فى مطلعها :

سلست لى الاقدار بعد حران
واعاضنى مما فقدت زمانى
هذى ملاعب صبوتى ارتادها
متنصتا فيها لهمس جنانى
فى كل منعطف حديث حداثة
متسلسل منه معين معانى
اشباح ماضى البعيد قريبة
منى تقابلنى بكل مكان
وتضج فى الذكريات مزيلة
ما كان فى الهجران من نسيان
لبنان يا نفس الخزام ضحى ، ويا
قبل الندى للنرجس الظمآن

عاد ابنك النائى اليك وقلبه
يروى حديث الشوق بالخفقان
عيناه تائهتان باحثتان فى
دنياك عن رفقائه الفتيان
يمشى هنا وهناك وهو محدق
للناس والاشياء كالحيران
متلفت ، متسائل عن صحبه
وبصحبه لعبت يد الحدثان
اين الصبايا الحالمات ولم يكن
وضح الغرام لهن بالصبيان ؟
أين الذين تركتهم عند النوى
فى السفح بين الكرم والبستان ؟

اين الرفاق المشرقات وجوههم
لسلامة الارواح والابدان
ذهبت بهم ، هذا الى لا رجعة
ترجى ، وذاك لرجعة بهوان
عاش المهاجر فى المهاجر شاكيا
بل حاسدا من مات فى لبنان
باع الشقى شبابه بنقودها
بيع المغامر حنطة بزوان
لو عاد بالدنيا العريضة بعد ما
فقد الفتوة عاد بالحرمان
ان الفتوة فى الحياة حديقة
مخضلة فى مهمه حران
ان الشيوخ المبعدين عن الهوى
والموميات لدى الهوى سيان
ان لم تجد فيك الحسان بقية
من روعة لم يجدك الثقلان !
فانظر لقدرك عندهن فانت من
نظراتهن اليك فى ميزان
وتلق مبرم حكمهن بحكمة
وتقبل التنفيذ باطمئنان !

***

لبنان يا وطن الجمال تحية
تغشى ربوعك مع شذا نيسان
يا مهد أحلام الشباب ومصدر ال
حب البرىء وهيكل الايمان
انى اراك فتى اشد فتوة
من عهدك الماضى ، فكيف ترانى ؟ !

الشاعر القروى

١٨٨٧

قد تكون الترجمة لشاعر او أديب أمرا صعبا اذا عزت مصادر حياته ، ولكن قد يكتب الشاعر أو الاديب لنفسه ترجمة ذاتية ليهون على الناس امر سيرته ، فيزيدهم صعوبة من حيث اراد التسهيل عليهم ... لانه قد يكاشف الناس من مستور أمره وخصوصية شأنه بما يحير الذين يودون الكتابة عنه ، او التعريف به ... وكذلك شأننا اليوم مع الشاعر القروى « رشيد سليم الخورى » .. فقد كتب ترجمة حياته بقلمه هو فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان القروى » الذى طبع فى البرازيل سنة ١٩٥٣

ولقد كان الشاعر القروى صريحا كل الصراحة حين ترجم لنفسه ، فولج معنا اعماق نفسه وحناياها ، وصورها على حاليها ... بخيرها وشرها ، وبعصمتها ونزواتها .. حتى لم يدع سؤالا لسائل ، ولا فضلة لمستطلع ، ولا شهوة لصاحب فضول !

ولد شاعرنا بقرية البربارة من جبل لبنان سنة ١٨٨٧ ، وقد ورث الشعر عن ابيه الذى كان له فى النثر والنظم بعض الاجادة ، وورث من قريته رخامة

الصوت التى تميز اهلها جميعا . ومن هنا كان الشاعر ينشد أشعاره علي أوتار العود الذى يحتضنه ، كما كان يفعل شعراء الغناء فى العصر العباسى ... وتعلم فى قريته ، ثم فى مدرســــة الفنون الامريكية بصيدا ، فالكلية السورية الانجيلية ببيروت ، وانتهى من حياة التعلم ليشـــتغل معلما فى مدرستى طرابلس والمينا الامريكيتين ، فالكلية الشرقية فى زحلة ، فمدرسة الامريكان فى سوق الغرب . ورسالته فى التعليم تذكرنا برسالة الشاعر محبوب الشرتونى من شعراء المهجر الشمالى ، ولا يعرف المترجم له من اللغات الاجنبية غير نزر من الانجليزية والبرتغالية ، أما العربية الصحيحة الفصيحة فهى لغة ثقافتــه ، وقد تمنى لو يطول به الاجل ليغترف من كنوزها المخبوءة وخاصة عن المغتربين

ولقد هاجر الشاعر من وطنــه الى البرازيل سنة ١٩١٣ باغراء من عمه المهاجر من قبل . وقد احجم الشاعر أول الامر خشية أن لا يكون فى المهجر سماء كسماء لبنان وجبال كجبالها ولكن وفاة والده سنة ١٩١. واغراقه فى الديون قد حمل الابن على الهجرة ليجمع من المال ما يبرىء به ذمة والده ويقضى دينه ، وقد لقى من العنت ما لاقاه الشاعر اليــاس فرحات وغيره من الذين كابدوا فى المهجــر ؛ فحمـل صندوق الزنك على ظهره يبيع الســلع فى لفح الحر وتحت وابل السيل وكانت الامور تنفرج له بعد أن تستحكم حلقاتها ففى أشد ساعات العسر ؛ وقد فرغ جيبه من آخر درهم ، قيض الله له من يريد تعلم الضرب على العود؛ فأعطاه دروسا يفرج بأجرها كربته..

ويمتاز الشاعر القروى بروح وطنيــة عالية ؛ فهو اقوى الاصوات العربية الوطنية فى المهجرين ، ولا تمر

مناسبة وطنية عامة الا ارتفع فيها صوت الشاعر مجلجلا بشعر قوى رصين مملوء بالايمان والحماسة الثائرة المثيرة . وخاصة فى الاحداث الكبرى التى منيت بها الاوطان العربية منذ عهد بعيد. وكان الشاعر القروى يطوف على القرى والاقاليم البرازيلية النائية يجمع التبرعات من العرب فى المهجر لخدمة القضايا العربية . ويأخذ اجور رحلته من ربح الجوارب التى يبيعها على ظهره

والشاعر القروى — هو وزميله الياس فرحات — يمثلان فحولة الشعر العربى فى المهجر . وهو كصاحبه من أنصار الرصانة ، وصحة الاسلوب وبلاغة العبارة ، وتمكن القافية ، والحفاظ اللغوى . واذا كان هذا الحفاظ اللغوى هو طابع الادب العربى فى المهجر الجنوبي ، فان ذلك لم يمنع من ظهور حركة مجددة متحررة من كل قيد لغوى أو نحوى أو عروضى ، كما يبدو لنا فى شعر الشاعر « نعمة قازان » .

وقد بلغ من ايمان الشاعر القروى باللغة الفصيحة انه وسم كل عادل عنها بسمة الكفر بالعروبة وبالعرب.

والقروى شاعر حساس دقيق الحس . يجد فى الطبيعة أنسا لوحشة نفسه . وله فى ذلك غرائب رواها فى سيرة حياته . وقد يطغى جمال الطبيعة على حسه ووجدانه ، فيرده الى خشوع يلصق جبينه بالتراب ويسكب من عينيه وشفتيه تسبيحة رطبة ، حارة ، فيمتزج فى وجهه البكاء بالثناء على الله صاحب الآلاء.

ولقد تبرعت الجالية العربية فى المهجر بطبع ديوان الشاعر القروى تبرعا سخيا ، فظهر الديوان فى ٩٢٨ صفحة . وكان بذلك اضخم ديوان للشعر العربى المعاصر ، فى العالمين القديم والجديد ..

الولادة الجديدة

اذا الشمس يا أم لاحت هتفت
هتـــاف الغريب رأى الموطنـا
وقبلت غرتها بالبنـــــــــان
وطوقت بالســـاعدين الســـنا
كذلك كنت أمـــــــــد يدى
الى النار طفـلا ! أطفـل أنا ؟

***

واذ يـــكفهر جبـين الســـماء
وتسكب أجفـــانها الدمع طلا
وتنتشر فوق الرءوس المظـــلا
ت لم أرض غير السحابة ظلا
كذا كنت أعشق خوض الجداول
طفلا ! فهل عدت يا أم طفلا ؟

***

مررت بأترابى التـــــــاجرين
فلم الق الا العبوس الوقورا !
فملت الى الحقل حيث الصغار
تنـاغى الطيـور وتجنى الزهورا
فهل صـــار كل رفاقى كهولا
وهل أنا وحدى ظللت صغيرا ؟

فاسمعنى الطير عند الصباح
جواب الطبيعة لى تنشد :
بنى ! ولدتك طفلا جديدا
فقل للرفاق الالى تعهد :
لقد ملأ الارض أولادكم
وانتم الى الآن لم تولدوا . . .

اجعل الارض

اجعل الارض حيث كنت جنانا
ان تكن قد هجرت منها جنانا
صغرت نفس حاصر النفس فى أشـ
ـبار أرض يعدها أوطانا
أنت حر فاستوطن البلد الحر
وصاحب من أهله اخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلـ
ـح مكانا ، ولا تذم زمانا
واسم عن أن تشكو الى الناس فقرا
ولئن بت جائعا ظمآنا
ليس فى قضمك الحديد هوان
ان فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا
دمعة تمسخ الشجاع جبانا
فتلق الحياة بالبشر فالعيـ
ـش نعيم ان لم تكن شيطانا
ليس بدعا ان كنت تطلب ما تقـ
ـصر عنه أن تشتكى الخذلانا
لم يخب طالب رغيفا بسعى
واذا عز حنطة فزوانا

ـنت لفظ يعنى الخلود فكم نعـ
ـسنى بفان فى حبه تتفانى ؟
كن اله النضار ! انك عندى
لست شيئا ما لم تكن انسانا
اشبع العقل حكمة واختبارا
واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الارض والسماء وهل يد
عى فقيرا من يملك الاكوانا ؟

الفتنة الكبرى

عرتنى خشية لله لما
رأيت الشمس تأذن بالشروق
فلم أرفع يدى بالحمد حتى
ذكرت بضاعتى وكساد سوقى
ولما قمت منصرفا لشأنى
تذكرت الصلاة على الطريق ..

***

حملت نماذجى ... القى اتكالى
على المولى ووعد من صديق
فلم ابصر جمال الروض حتى
عرتنى هزة الشعر الرقيق
ولما عدت من نظم القوافى
تذكرت الصديق على الطريق !

***

وانى فى ذهول الشعر يوما
أحوم به على غصن وريق
اذا بحمامة تبكى بكاء
له جمدت دمائى فى عروقى ...

فلما ذاب فى سمعى صداها
تذكرت القريض على الطريق !

***

سمعت كمنجة فى كف أعمى
تثير كوامن الحس العميق
فلما كنت منجذبا اليها
وملت الى بالقد الرشيق
ذهلت عن الصلاة ، وكسب رزقى
وشعرى ، والكمنجة و .. الطريق !

عناق الوجود

من لنفس تود لو تغمر الكو
ن هياما بحسنه المعبود ؟
مثلوا لى هذا الوجود بشىء
أنا لا استطيع ضم الوجود !

***

تطلع الشمس يستبينى بهاها
وتلوح النجوم ارعى سناها
أى واد ولم أسامر حصاه
وهضاب ولم أباكر ذراها ؟
وغصون ولم اغرد عليها
وورود ولم امص جناها ؟
غير انى عمرى قصير وفى الكو
ن فنون من كل حسن جديد
مثلوا لى هذا الوجود بشىء
اننى اشتهى عناق الوجود !

يا سليمى ! جمعت حسن النهار
والدجى ، والسماء ، والاقمار !
والربى ، والوهاد ، والغصن والزهـ
ـر وقطر الندى ، وشدو الكنار !
فيك معنى من كل ما أبدع البا
رى تعالى بل فيك معنى البارى !
لوحة المرصد التى يظفر الرا
صد فيها بكل نجم بعيد
بذراعيك طوقينى اطوق
بذراعى كل هذا الوجود !

يارب

يا رب انك صاحب الامر
وانا اليك موكل امرى
من لى سواك اذا الهموم طمت
وتلاعبت بسفينة العمر ؟
مرها تطعك ! فطالما سكنت
طوعا لأمرك لجة البحر
اكذا اظل الدهر مرتطما
انجر من صخر الى صخر ؟
خمس مضت ، واليوم سادسة
من غربتى فى اثرها تجرى
لم ألق فى أثنائها سنة
الا وأهون ما بها فقرى . . .
شكرا على ما سرنى ، وعلى
ما ساءنى ! شكرا على شكر !
ما لى جميل أرتجى معه
أجرا ولا عفوا سوى صبرى . . .

الشتاء

لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيلة
بالغرام الذى مضى والرجاء الذى قضى
جددى بيننا العهود واتحفينا ببسملة
لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيلة

***

طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر
فاكسحى هذه الغيوم واطلى على الكروم
وانفخى الروح فى الحقول وابعثى الحسن فى الزهر
طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر

***

تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى
صل يا شاعر الزهر صل للشمس والقمر !
ذهبت حمرة الخدود ما على الجو لو صحا !
تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى

***

منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى
كيف لا يحزن العروس ؟ كيف ترضى به «فنوس» ؟
هل ترى نابها الافول أم ترى قلبها قسا ؟
منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى

المتكبرون

سل المتكبرين هل استشيروا
بمولدهم ، وهل أمنوا الحماما ؟
وهل كشفوا من الاكوان سرا
وهل عرفوا البداءة والختاما ؟

وهل جبلوا جسومهم بخمر
وهل نحتوا من العاج العظاما ؟
وهل يفدون تحت الارض تبرا
ويمسى غيرهم فيها رغاما ؟
اليس قوامهم ماء وطينا
كما خلق الاله لنا قواما ؟
فان كانوا كغيرهم اناما
علام اذن قد احتقروا الاناما ؟
وان لم ينفعوا الدنيا بشيء
اذن فعلام منتهم علاما ؟ !

الفرح

انا لم افرح لانى بطل
مثل « دمسى » اصرع القرم العنيد
او لانى فى الدواهى رجل
لا يبالى ان دنا الخطب الشديد
ما يلاقى
بل لانى ناصر حق الضعيف
حين فى الحق يعز الناصر
ولانى حالة الفوز شريف
ادعى أن سواى الظافر
فى السباق
انا لم افرح لانى عالم
يتمشى فوق اعناق الدهور
او لانى ناثر او ناظم
يفتن القراء ارباب الشعور

حسن نظمى

بل لانى لم احرك قلمـــــا
بالذى يكســو مسوح الخجل
ولانى لم اســـبب المـــا
جارحا بالسب عنـــد الجدل
قلب خصمى
أنا لم أفرح لحشـدي الذهبـا
واحتيـازى كل ما لذ وطـاب
او لأنى بعـد فى شرخ الصبـا
اتملى من مسرات الشبـــاب
لا ! لعمرى !
بل لانى وافر العرض نبيـــل
ولانى مخلص حر الضـــمير
ولانى عنـد ما يخلو السبيـــل
ألبس الليـــل بشىء للفقـــير
مع فقرى...

أنشودة الغريب

حتـام أحيـــا غريب ما لى وطـن
يا يوم وصـل الحبيب أنـ الـزمن
***
دهـــر بقلـــبى رمى ســهم النوى
يـكويه ربى كمـــا قلبى كوى !
هيهــــات غير الحمي ما لى دوا
لبنــــان نعم الطبيب للمتـــحن
ان كنت منـــه قريب زال الحـزن
***
لله ذاك الغـــدير ما اعـــذبا
لله تلك الزهـــور ما أطيبـــا

لله تلك الطيـــور ما أطـــربا
من كل شـــاد عجيب ينفى الشجن
فى شـــدوه للقلوب ســلوى ومن

***

كم لى بتلك السـفوح من موقــف
والشـمس طورا تلوح أو تختــفى
فى ظـل روض يفوح بالمضــحف
أو تحت غصن رطيب حــلو التثن
غنى به العنـــدليب فوق الفنــن

***

اياك يهوى الفـــؤاد يا امنــــا
من دون كل البـلاد أنت المنـــى
هل يا ترى من معـاد يوما لنـــا ؟
يا حســـن يوم تؤوب فينـا السفن
نشتم قبـــل الغروب ريح الوطن !

حضن الأم

اتذكر كيـــف كان اله موسى
الها قاســـيا يلتـــذ بالدم ؟
اذن فاليـك كيف غدا حنـونا
علينا . . . ان تألمنـا تألم ، . .

***

روى الراوون ان عشـروا بمصر
على درج غريب الخـط مبهم

فحاول فهمه العلمـــاء لـكن
بدا لجماعة العلمـــاء طلسم (١)
الى ان حله الشـــعراء شـــعرا
ومن بالشـــعر كالشـــعراء يفهم ؟

وذلك أنه من قبــــل عيسى
توفى شـــاعر فى الشرق ملهم
أضاع العمر فى طلب المعاصى
يحلل ما كتـــاب الله حرم
فــكاد الى اللظى يلقى جزاء
لمـــا من سيىء الاعمــــال قدم
ولـكن بره الابــــوين غطى
مساوئه فخلص من جهـــنم
وجازاه الإله جزاء عبـــــد
تقى حســـبما فى الـكتب علم
فنام بحضن ابراهيم . . . لـكن
قبيـــل الفجر شـــاعرنا تبرم

وقام لربه يشـــكو ويبـــكى
بكاء صـــــير الفردوس مأتم
فهـــدا روعه وحنــــا عليه
وطيب قلبــــه بحنـــانه الجم
ووســـــده يديه وركبتيـــه
ومال عليه بالتقبيـــــل والضم
وقال لعبـــــده داود رنم
لهـذا البلبـل البـــاكى ، فرنم
فنـــام بحضنه الابوى حينـــا
وعاد يســـاقط العبرات عنـــدم

---

(١) أصلها : طلسم بشدة وفتحه على اللام ، وقد سكنها الشاعر للضرورة

الى أن ضج أهل الخلد غيظا
وصاح الله من غضب : الى كم ؟
اطيق تذمرا من عبد سوء
يجرع كوثرا فيقول : علقم
تظلم فى الثرى من غير ظلم
وحتى فى النعيم معى تظلم !
ارى الشعراء جازوا الحد ! انى
أكاد لخلقى الشعراء أندم
علام بكاك يا هذا ؟ وماذا
دهاك فلا تنى تُشكو ؟ تكلم ؟
اصفحى عنك قد أبكاك أم ما
جزيت به من الاحسان أم ... أم ؟
فصاح العفو يا مولاى ! من لى
سواك ومن سوى الرحمن يرحم ؟
اتيتك راجيا نقلى لحضن
احب الى من نفسى واكرم !
لحضن طالما قد نمت فيه
قرير العين بين الضم والشم !
أما ألقيت رأسك فوق صدر
حنون خافق بمحبة الأم ؟
فدعنى من نعيم الخلد انى
نعيمى بين ذاك الصدر والفم
تربتنى كعادتها برفق
وتنشد نم حبيبى بالهنا نم !

***

فأطرق سيد الاكوان طرا
لشكوى شاعر الغبراء ، واهتم

وقال لنفسه هـــــذا محال
ايعلم شـاعر ما لست أعلم ؟
اينعم خاطىء فى الارض قبـلى
بما انا لست فى الفردوس أنعم
لأكتشفن هـــــذا السر يوما
ولو كلفت ان اشـــــقى واعدم

***

وكانت ليلة . . . واذا صبى
صـغير نائم فى حضن مريم . . !

عيد البرية (*)

عيد البرية عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيـد النبى ابن عبـد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نورا للورى وهدى
يا للتمدن عم الكون من بدوى !
يا صاحب السيف لم تفلل مضاربه
اليوم يقطر ذلا سيفك الدموى
يا فاتح الارض ميـدانا لقوته
صارت بلادك ميدانا لـكل قوى
يا حبذا عهـد بغداد واندلس
عهد بروحى أفدى عوده وذوى !

(*) يستحث الشاعر المسيحى هنا عزائم المسلمين فى ذكرى المولد النبوى لاستعادة المجد القديم

من كان فى ريبة من ضخم دولته
فليتل ما فى تواريخ الشعوب روى
يا قوم هذا مسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الاخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروى !

ليبيا (١)

ليبيا يا معقل العرب الجديدا
زدت اعياد شقيقاتك عيدا
مرحبا بالثورة البيضاء لا
جردت سيفا ، ولا حزت وريدا
من شباب همه أمته
كاد ينسى نفسه حبا وجودا
هب للسلم وللحرب معا
بطلا ينجز وعدا ووعيدا
غلب القوة بالرفق ، ولو
أغضبوه كان جبارا عنيدا
ينقل الخطوة فى نور الهدى
جاعلا رائده العقل الرشيدا

(١) نظمت عقب ثورة الفاتح من سبتمبر

أبناء المعلوف:
فوزى - شفيق - رياض

لقد اجتمع الشعر فى هؤلاء الاخوة المتربين فى المهجر الجنوبى . وانحدر اليهم ذلك الميراث الادبى الرفيع عن والدهم المؤرخ الادبى الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، العضو بالمجمع العلمى العربى بدمشق . وليست اسرة المعلوف هى التى انفردت من أسر المهجر بانجاب اشقاء شعراء ، فهناك أسرة الخورى من قرية « البربارة » اللبنانية التى أنجبت الشاعرين الشقيقين رشيد سليم الخورى « الشاعر القروى » ، وقيصر الخورى « الشاعر المدنى » وهما من أعضاء العصبة الاندلسية بالبرازيل التى يرأسها الشاعر شفيق المعلوف . وهناك اسرة قنصل من قرية « يبرود » السورية ، وقد انجبت الشاعرين الشقيقين الياس قنصل ، وزكى قنصل .

ولقد اشتهر المرحوم فوزى المعلوف بقصيدته الرائعة « على بساط الريح » التى نشرت فى مجلة « المقتطف » سنة ١٩٢٩ ، تم طبعت طبعة أنيقة فى البرازيل ، ولقيت من تقدير القراء فى العالم العربى ما لفت الانظار الى ناظمها الشاب الذى اختطفه الموت وقد اوفت سنه على الحادية والثلاثين . فمر فى الدنيا كما يمر الطيف ، او كحلم فى الكرى ، أو كخلسة المختلس، كما يقول الشاعر الاندلسى

ولد فوزى فى زحلة سنة ١٨٩٩ فى أعقاب الربيع الباسم ، ولكنه كان كما يقول عن نفسه منقبض النفس مقطب الجبين ، ولشد ما تمنى أن يموت فى خريف صامت ذاو كما قضى حياته القصيرة فى خريف صامت ذاو .. ووجد الفتى فى كنف ابيه العلامة المؤرخ وفى خزانة كتبه ما اشبع ميوله الادبية البادية ، فنظم شعرا فى شبابه المبكر ، والف بعض الروايات التمثيلية.

وفى سنة ١٩١٨ عين الشاعر كاتما لاسرار المعهد الطبى العربى بدمشق ، قريبا من رعاية أبيه فى عاصمة الامويين . وما كادت تضع الحرب العالمية الاولى أوزارها حتى بدأ الشاعر الشاب رحلته الى العالم الجديد سنة ١٩٢١ مشتركا مع أشقائه وبعض قرابته فى انشاء مصنع للحرير بمدينة سان باولو بالبرازيل .

ولكن نسج الحرير لم يشغله عن نسج أبراد العرائس من الشعر الرقيق ، واجتمع له الثراء هو واخوته ، فلم يزدهم الا استمساكا بعروة الادب الرفيع . وفى اخريات سنة ١٩٢٩ أصيب الشاعر بمرض أعيا الاطباء ، ولم تنفع فيه حيلة الطب الذى عجزت محالته عن الاصدار فتوفى فى يناير سنة ١٩٣٠ . وكان لمنعاه رنة اسف فى العالم كله ، فنعته شركة هافاس البرقية العالمية شاعرا ، قبل أن تنعاه شابا من كبار رجال الصناعة فى البرازيل .

ولقد أحبه الذين قرأوا شعره ، لانه يفيض بنزعة انسانية كريمة ، وينزع الى السمو بالانسان الى أسمى مراتب الكمال ، أما الذين رأوه فقد زادهم حبا الى نفوسهم صفاء ذهنه ، وكرم خلقه ، وعلو همته ، ولطف عشرته على الرغم من اتساع ثروته . وممن تأثر بلقائه الدكتور فيليب حتى ، أستاذ التاريخ الشرقى

بجامعة برنستون بالولايات المتحدة ، فلقد كتب ـ فى مجلة «الكلية » ببيروت واصفا رحلته الى البرازيل ـ كلمة يقول فيها : « قل بين الشبان الذين تعرفت بهم فى السنين الاخيرة ـ ولقد اجتمعت بالعدد الوافر منهم فى القارات الخمس ـ من اثر فى نفسى اثرا مستحبا اشد من الاثر الذى تركه فى فوزى المعلوف » .

وتمثل لنا نظرة فوزى المعلوف المتشائمة فى الحياة صدق القول بان المال لا يخلق سعادة ، ولا يصنع غبطة ... فقد اجتمع له الثراء والشباب ، واوفيا له الكيل ، ولكنهما لم يستطيعا ان يخلقا وتر السعادة فى عوده الحزين ... فظل حتى حين حلق الى ابعد آفاق السماء فى ملحمته « على بساط الريح » يشكو ويتألم من الحياة على الارض ، كانه كان ينوى الرحلة الى ما وراء الحياة وهو لما يزل بعد فى نضارة الشباب. ومن هنا وجد الشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادى سبيلا الى نقده ونقد فلسفته التشاؤمية فى الحياة ، حين كتب عن ملحمته « شاعر فى طيارة » أو « على بساط الريح» نقدا فى عدد « المقتطف » الذى نشرت فيه تلك الرائعة الادبية سنة ١٩٢٩

ولقد بلغ من روعة «على بساط الريح» انها ترجمت الى كثير من اللغات الحية ، فترجمها المستشرق جورج كفت الى الانجليزية ، والمستشرق كمبفماير الى الالمانية ، والمستشرق كرتشكوفسكى الى الروسية ، والسيدان اسعد محفل وفائز عون الى الفرنسية ، والسيد اميل مرقدة الى الرومانية ، وفنتور لوسبرينو ـ امير شعراء البرتغال ـ الى البرتغالية ، وفرنسيسكو فيلاسباسا ـ امير الشعر الاسبانى ـ الى الاسبانية . وتمتاز هذه الترجمة الاخيرة بتلك الدراسة التحليلية التى كتبها المترجم عن الشاعر وشعره .

وفى سنة ١٩٣٧ ازيح الستار فى حديقة عامة بمدينة زحلة عن تمثال نصفى من البرونز نحته مهاجرو العرب فى البرازيل ، وقدموه تذكارا للشاعر الذى انبتته المدينة اللبنانية الحالمة ، ليعود اليها اريجا عاطرا فى سماء الخلود .

***

أما شفيق المعلوف فهو صاحب ملحمة « عبقر » ، وهى قصيدة اسطورية جمع الشاعر مادتها من اساطير القدامى ، وطاف فيها بعوالم غير عالمنا ، وابعد فى اودية « عبقر » كما أبعد المعرى فى « رسالة الغفران » ودانتى فى « الكوميديا الالهية » . وقد كانت هذه الملحمة فى طبعتها الاولى بالبرازيل سنة ١٩٣٦ فى ستة اناشيد ، فأضاف اليها الشاعر ستة أخرى فى طبعة سنة ١٩٤٩ وصنع لها ـ هو لا ابوه كما ذكر بعضهم وهما ـ مقدمة تاريخية فى أساطير العرب وما شابهها من خرافات الاقدمين .

ولد شفيق فى زحلة سنة ١٩٠٥ وشدا من العلم فى كليتها الشرقية ، وفى سنة ١٩٢٢ جذبته اكناف والده فى دمشق ، فعمل محررا فى احدى صحفها المشهورة « ألف باء » ، ولم يطل مقامه بعاصمة الامويين اكثر من ثلاث سنوات حتى غادرها سنة ١٩٢٦ مهاجرا الى البرازيل ، حيث كان هناك شقيقه المرحوم فوزى وكثير من افراد اسرته . فانعقدت له فى عالم الصناعة شهرة لا تقل عنها شهرته الادبية المطبقة ، ويعينه فى الميدان الصناعى والتجارى شقيق رابع اسمه اسكندر .

ويعيش شفيق فى سان باولو فى قصر مشيد ، لم تصنعه احلام « عبقر » ولا خيالاتها ! ولكنه قصر منيف من

الواقع ، تتسع رحابه الكريمة لاعضاء « العصبة الاندلسية » ، وللوفود العربية التى تفد من أوطان العروبة الى البرازيل من حين الى حين .

وقد ألقت العصبة الاندلسية فى البرازيل مقادتها الى الشاعر شفيق معلوف ، فالتقت فى همته وشاعريته ومركزه الاجتماعى المرموق روافد النشاط الادبى والمادى فى ذلك المهجر الجنوبى البعيد ...

ونظرة « شفيق » الى الانسان ولؤمه وخبث طبعه لا تقل عن نظرة أخيه المرحوم فوزى ، كأنهما استقيا فلسفتهما من معين واحد فالانسان عند المرحوم فوزى :

جاء والطهر والرواء رفيقا
ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدا
ء الى القبر فى غضون شبابه
هو يحيا للشر ، فالشر يحيا
أبدا حيث حل شؤم ركابه

والانسان عند صاحبنا شفيق ـ أطال الله عمره ـ قد أفزع العرافة فى وادى عبقر ، فقالت تخاطبه :

ويحك يا انسان ! ألق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فعذن بالشيطان
من شرك . . .

وقد افهم هذه النزعة التوجسية من الانسان عند شاعر انعزالى ينطوى على نفسه فيأنس بالذئب اذا عوى ، ويكاد يطير من صوت الانسان ... أما عند شاعر كشفيق آتاه الله بسطة فى الشباب والمال والاعمال ، فلا أفهم لها سببا الا أن تكون « وقاية من العين » كما يحتاج الجمال الى عيب يوقيه من العيون، ويعيذه من شر الحاسدين !

ولشفيق معلوف غير ملحمته الشعرية « عبقر » ، ديوانا « لكل زهرة عبير » ، و « نداء المجاديف » وقد طبعا فى بيروت سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٢ على الولاء ، وقد اخترنا القصائد الجديدة من هذين الديوانين . اما كتابه « حبات زمرد » الذى طبعته وزارة الثقافة والارشاد بدمشق سنة ١٩٦٦ فهو مجموعة مقالات فى الادب والنقد تدل على اطلاع واسع فى الادب العربى والآداب الشرقية .

وبقى من ابناء معلوف « رياض » ... وهو شاب ترتسم على ملامح وجهه النضر ابتسامة حلوة ، ولكن شعره مملوء بالبكاء والنواح ، وبسمات الموت ، ورمز الشقاء ، والدموع ، والوتر المقطوع ... وغير ذلك من عناوين اناشيده الحزينة الباكية فى ديوانه « الاوتار المتقطعة » . ولقد اسرف هذا الشاعر الناشىء الشاب فى سكب الدموع ، حتى لم يبق فى عينيه الدامعتين فضلة من العبرات لفقده المأمول الممدود ...

ان فى قيثارة « رياض معلوف » رقة وحلاوة فى النغمات ، وخاصة فى مثل هذه الابيات :

هذه الدنيا لنا ، لى انا لحبيبى
فتمتع يا حبيبى فالمنى تلو المنى
اى شىء نبتغيه لم تنله يدنا ؟
طالما انت بقربى كل شىء ههنا !

فحرام ان تتحول هذه الطاقة المذخورة من الرقة والحنان ، الى اناشيد الالم ونغمات الاسى والاحزان .

ولد رياض سنة ١٩١٢ ، وهاجر الى البرازيل سنة ١٩٤٠ ، ولكنه لم يطل المقام فيها غير بضع سنوات . ولم ينتج فى مهاجره البرازيلى الا ديوانه «خيالات» . ويعيش الآن فى زحلة فيطالعنا فى صحافة لبنان والشام الادبية بانتاج مشرق طريف .

ملحمة « على بساط الريح »
لفوزى المعلوف

ملك فى الهواء

فى عباب الفضاء ، فوق غيومه
فوق نسره . . . . ونجمته
حيث بث الهوا بثغر نسيمه
كل عطر . . . . . ورقته

***

حلق الشاعر العصامى منذ الـ
ـبدء لكن بروحه لا بجسمه
ضاربا فى الفضاء مع ربة الشعـ
ـر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصـ
ـر ، وكل الاثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى فاح كافو
ر دراريه فوق عنبر فحمه
هالة البدر كللته بتاج
صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسوافى عرش له نفض الليـ
ـل على جانبيه رهبة رسمه

والثريا فى كفه صـــولجان
ذهب الصـــبح ضم لؤلؤ نجمه
شـــاعر طـــائر بغير جنـــاحيـ
ـــن بأمر الخيال يقضى وباسـمه
ملـكه ركنـــه الهواء ، ولـكن
اله الخلود قام بدعمـــــه !
هجر الارض طالبـــا راحة الرو
ح بعيـــدا عن الوجود وظلمـه
صد عنه طوعا بملء رضـــاه
بعـــد أن جاءه مقودا برغمـه
هو منه ، وليس منه ، فما زا
ل غريبـــا ما بين أبنــــاء أمه

نفوس الشعراء

يا نفوســـا فى بردة الشـــعراء
رفعتهم . . . . . على الهواء
أبعـــدتهم عن عالم الاحيـــاء
قربتهم . . . . من السماء

***

لست من عالم التراب وان كنـ
ـت تجســـدت بالتراب عليه
انت من عالم بعيـــد عن الار
ض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم انت فوقه نســـمات
حملت نفحة الشـــعور اليه
هو ما زال طاهرا ونقيـــا
لم يدنس اثم الورى برديـه

وفتى الشعر فيه يستنزل الوحـ
ـي بيـانا يجثو الخلود لديه
مبقيا طى مصحف الافق آثا
رأ توشى بحسنها صفحتيه
ما شعاع الاصيل غير لهيب
شع من قلبه على مقلتيه
وقتـام الغمام غير دخان
صعدته الهموم من شفتيه
ما أنين الرياح غير زفير
سرقته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير اناشيـ
ـد روتها الطيور عن اصغريه
ما بريق النجوم غير شظايا
كأس حب تحطمت فى يديه
وندى الفجر غير در دموع
شربتها الازهار من محجريه

حلم يتحقق

يا طيور السماء فى الريح روحى
بى جريا . . . . . على الجلد
وبجسمى طيرى الى حيث روحى
ثم تحيا . . . . . بلا جسد !

***

هو حلم ما زال فى فكرة الشا
عر يطوى الزمان جيلا فجيلا
حققته الايام فانظر تجدنى
قاطعا فى الاثير ميلا فميلا

ما جناحا خرافة حمـــلاني
بل جناحا حقيقـــة من هيولى !
فوق طيـارة على صهوات الر
يح قامت نذلل المســـــتحيلا
هى طيـر من الجماد كأن الـ
ـجن فى صـدرها تحت خيولا
فتظن الازيز فيهـــــا عزيفا
وتخال الدوى فيها صـــهيلا
حين هبت ونبا الى الجو تختا
ل وتعلو فيه قليـــلا قليـــلا

ثم مدت الى النجوم جنـــاحيـ
ـن وجرت على السـحاب ذيولا
دفعت موجـــــة الرياح بكفيـ
ـها فشقت الى السماء سبيلا
خببا تارة ، وطورا وئيـــدا
صـــــعدا مرة واخرى نزولا
درجت فى ممالك الطير تلقى الذ
عر من حولها وتؤتى الفضـــولا
فترى فى الطيـــور كرا وفرا
وترى فى النجوم قالا وقيـــلا

بين الطيور

قال نسر لآخر « اى طير
هو هذا . . . . . . ومن رفاقه ؟
ان يكن قادما اليـــــنا لخير
فلمـــاذا . . . . . . علا زعاقه ؟

يا له طائرا بصـــــورة شيطا
ن تبث اللظى مراجل صدره !
يتخطى حـــــدودنا دون اذن
فـكأنا وملـكنا طــــوع أمره
انني خـــــائف فلم تر عيني
طائرا قط فى ضخامه قطره ! »
فأجاب الثانى « أعيذك منه
فأنا عارف دخيـــــــلة سره
نحن لم نهجر البســـــيطة الا
هربا منه واتقـــــاء لشره !
ليس طــــيرا ، لـكنه آدمى
جاء يســـــــتعمر الاثير بأسره
ربما ضـاق عن مطامعه الـكو
ن فحطت هنـا مطـامح فـكره
قم بنـا نجمع الطيـور ونمشى
للقاه ، فنتقى بعض غـدره »
واذا بالطيـــــور حولى وكل
صـــامد لى بمخلبيــه وظفـره !
لا تخافى يا طـــير ما انا الا
شاعر تطرب الطيـور لشـعره !
جاء يقضى بعض الدقائق فى مفـ
ـناك ضيفا على الهدوء وسحره
هاربا مثلمـــا هربت من الانـ
ـسان والارض ، من شقاها ومكره !

رمز الالم

انظريه يمشى وفى خطـــــواته
نزوات . . . . من الالم

عاثر الجد ، جد تحدو بذاته
نزعات . . . . الى العدم

***

هو فى ميعة الشـباب ولـكن
ضـم فى بردتيه شـيخا هزيلا
شـارد الطرف ، تائه الفـكر يحكى
مدلجا فى الظلام ضـل السبيلا
ذو جبين القت عليه شجون النـ
ـفس ظلا من العبوس ظليـلا
وقوام كأن قاصــــمة الظهـ
ـر اناخت عليه حمـلا ثقيـلا
كتب البؤس فى غضـون محيا
ه ســطورا مقروءة وفصــولا
فهو لا يعرف التبســـم الا
عند ما يستعيـد حلما جميـلا
الف اليـأس قلبــه فهو واليـأ
س يحاكى بثينة وجميـــلا
واذا اليـأس صـد عنه قليـلا
قام يبـــكى على نواه طويلا !
واذا ما النسيـــم مر عليه
فعليـــل أتى يؤاسى عليـــلا
تاه فى عالم الخيال فضـاعت
روحه وهى تطلب المســتحيلا
حول الارض عالمـــا علويا
مخرجا من وحولهـــا سلسبيلا
واعاد الاثير طـــــوع يديه
ناظما من نجومه اكليـــلا !

باقة من اشعار شفيق المعلوف

الراعى

مشى وفى كفـه هـراوته
وهو وراء القطيـع مكتئب
ونايه من خـلال جعبتـه
يمـد عنقـا كمن له أرب
متـرد الفكر لا يثوب اذا
ينبـح كلب او نعجـة تثب
وطـالمـا فى المروج نعجتـه
طاب على كفـه لهـا العشب

***

بالامس قالوا له حبيبتـه
زفت اليهـا الحلى والذهب
فلم ينم ليـله ولا انطبقت
حتى على طيفهـا اه هـدب
انى مشى فى الحقـول لاح له
جفن ووشـم ومبسـم عذب
فاقتعـد الصـخر ثائرا قلقـا
وراح يهذى ودمعه صـبب
يقول : اين التى بهـا ظفروا
ألم يصـبها من لوعتى شـجب

اين التى اترعت فمى قبـــلا
وهى على ســـــاعدى تضطرب
فبلتهــا البكر من فمى سرقت
وقلبهـــــا من يدى مغتصب
فهل تراها بعـــد الذى وهبت
ابقت لغيرى فى الحب ما تهب ؟

***

مال على نايه ومقلتـــــــــه
يشب من خلــف مائهـــا لهب
حتى اذا بث ما يجيـــش به
غص بما فى ضـــلوعه القصب
كأنما الجرح جرح مهجتـــــه
كان عـــــلى نايه له ثقب
فالنـــاى لا يأتلى على فمــه
يعب من قلبـــه وينتحب ..

ساعى البريد

ســاعى البريد وما ينفك منطلقا
وكل باب عليه غير موصــــود
يسعى بأكداس اوراق مغلفـــة
تفوح منهن اطيـــاب المواعيـــد
خلف النوافذ اجفـان مشــوقة
اليه تخفق من وجد وتســهيد
بدا فهز عقود الغيـــد مقدمه
هز النســيم لحبات العناقيـــد
كم قبلة من فم العشاق يحملها
على يديه ويهديها الى الغيد ؟

يا ساعيا بابتسامات توزعها
على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه ام عجوز ان برزت له
لم يبق من اثر فيه لتجعيد
تلقى اليها كتابا ان يصب يدها
شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف
لابن الى صدر تلك الام مردود

***

وكم وكم رقعة كالحظ مترفة
وهبتها كل كابى الحظ منكود
يا واهبا كل بشرى حين جدت بها
راحت تكذب عنك الفقر بالجود
ابعد بذلك فينا ما بذلت نرى
عينيك فى مأتم والناس فى عيد ؟
أو تعلم الناس يوما انها سلخت
أيامها البيض من ليلاتك السود !

زهرة فى صخرة

حلمت بزهرتها القديمة صخرة
حنت الى عهد التراب الفائت
فتفتقت آمالها عن زهرة
بيضاء لم تك غير حلم نابت
ينشق عنها الصخر وهى كأنها
حى تململ فى ذراعى مائت
ساءلتها فاستجمعت أطيابها
ومضت تقول بهمسهن الخافت

انا لست الا ومضة الذكرى على
تقطيبة الصحر الـكئيب الصامت
فبح يخالطه وميض حـــلابه
أحلى لعينى من جمـال باهت !

الاياب

اى صوت ادعى غداة التنادى
من نداء الاكبــاد للأكبــاد ؟
صــدقت ذمة الزمان فعــدنا
ننفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم
ذكرياتى على ضــفاف الوادى
صفقت بالجناح مســـتطلعات
طلع أوكارها الطيـور الشوادى
علها تستشف من خلل الاظـ
ـلال اظــلال غابر الاعيـاد
يوم اغشى الرياض فى الليـلة القمـ
ـمراء ونبا بين الربى والوهاد
شاردا أنشد النجوم وفى جفـ
ـنى مائى وبين جنــبى زادى

***

بالتى تقطف النـــجوم يداها
ثم ترمى بهن تحت وســـادى
بفتــاة كأن أجنـــحة الشحـ
ـرور كحلن عينهـــا بالســواد
نقلى يا يد النسيــم على أهـ
ـدابهـــا الســود ريشــة العواد

ان اهـــدابها بقيـــــات أوتا
رى شـــدت الى بقــايا فؤادى

***

نشـــط الشـــوق للأياب ونادى
باسم لبنان فى الضلوع منادى
كيف لبنـــــان والمنوه كثر
لم تصـــفق صـــناجتـــاه لشـــادى
رب داء يحز لبنـــان فى الصلـ
ـب ولبنـــــان مبرأ الرواد
امن العـــــائدين انت اليه ،
عمرك الله ، أم من العواد ؟
قرب الشـــط فليقلك بين الـ
ـموج والشـــوق هودج متهادى
هــذه فى الفضـــــاء اعلام لبنا
ن على غره الصـــباح بوادى
يغمر الفجر منكبيهـــــا فتنكب
عليه مشبوحة الاعضـــــــــاد
قمم صـــدعت على الافق بحرا
هائج اللج صـــــاخب الازباد
تشرئب الجبـــــال منه فهـــلا
ولد البحر من جـــديد بلادى
موطنى ما رشـــفت وردك الا
عاد عنه فمى بحرقة صـــادى
فى قلوب المغربين جــــــراح
حمـــلوها على الجباه الجعاد

***

لا تلمهم ! فيوم هجرك كانوا
وعذارى العلا على ميعـــــــاد

يوم دقوا سواحل الشرق بالغر
ب ولم يهدهم سوى العزم هادى
كلما احتلت المجاذيف شع الا
فق منـــهم بكوكب وقاد
وزعتهم كف الرياح فهـــلا
جمعتهم يد النسيم الهادى ؟
غصص الامهـــات ما هى الا
ذمم فى خفـــارة الاولاد !
حان ان يخنقوا الشراع ويطووا
علم الفتح بعد طول الجهاد
ذهب الارض ــ يعلم الله ــ ما يعـ
ـدله غير تربة الاجـــداد

***

يا لطود اعنـــاقه آخـــذات
بجبال شــــم من الامجاد
هو لبنـــان هب بنيه سيوفا
تلفظ الروح وهى فى الاغمـاد
هبه مستضعف الجناب فلم يفـ
ـخر بماض ولا ازدهى بتـلاد
او فهبه كما تشـــاء فحسبى
ان لبنـــان خفقــة فى فؤادى

غمامة هيروشيما

سلبوا الشمس قطعة من لظاها
ورموها على العبـــاد تدور
فجروها ملء الفضـــاء ذريرا
ت تشظى شرارها المســـتطير

أغيوث ســـوداء تنهل ام نا
ر تبيـد الجسوم ام زمهرير ؟
يا لها من غمامة ساقها الحقـ
ـد فجاشت بما تكن الصدور !
اين منهـا على قبـائل عاد
عاصــف فيه يومهن الاخير ؟
اين صادوم ؟ اين اعمـدة الملـ
ـح اذا ما تلفت المـذعور ؟
غضب اين صار فى حوزة العبـ
ـد فأين الله القوى القـدير ؟

هل ياترى نعود ؟

هــل يا ترى نعــود اليــك يا لبنـــان
فتصــــدق الوعود ويســــمح الزمان
فنقطف العنقـــود منـــــوع الالوان
هــل يا ترى نعــود
اليــك يا لبنـــان
ما أحســن السـهر فى خــلوة الــكروم
وبيننـــا القمـــر وقربنـــا النـجوم
فهـــذه الصـــور نمر كالفيـــــوم
هــل يا ترى نعــود
اليــك يا لبنـــان
زقزقة العصـــفور ورعشة الاغصـــان
حتى أرى الصخور نـــدية الالـــوان
وعتمــــة الديجور نشتفهـــا العينـــان
هــل يا ترى نعــود
اليــك يا لبنـــان
كم سحت فى المعمور ما غرنى منظــــر
فبـــلدى المهجور وكوخى الاخضـــر
احلى من القصـــور والذهب الاصـــفر
هــل يا ترى نعــود
اليــك يا لبنـــان

ما احسن الذكر في مقلة الغريب
فهو اذا ذكر موطنه الحبيب
يرتعش النظر وعينه تغيب
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان

الله والشاعر

في كل آونة بعيني اشهد
عظمات ملكك كلها واعدد
وكفى بقولي الله حتى تنتشي
نفسي وتشخص مقلتاي فاسجد
يا صاحب الملك الذي لا ينتهي
ابدا وسدته الملا والسرمد
بيني وبينك الفة ومودة
ابدا تزيد ، ودائما تتجدد . . .
رحماك ! رغم تباعد بمقامنا
اني احبك هل ترى انا ملحد ؟
اتعد هاتيك النجوم ونورها
ام خلقنا ؛ ام فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك في صلواتهم
وا خجلتاه ! وانت انت الاوحد
فخذ الصلاة من الورود على الشذى
ومن الطيور على المناقر تنشد
نورت اعيننا بانوار الهدى
فاذا بهن مشاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شمعة
منذورة ، وبكل صدر معبد !

فلما خلقت الموت يا بارى الورى ؟
ولما نموت ولا نعيش ونخلد ؟
ألهمتنا الشيء الكثير ... ولم يزل
هذا الغشاء ، ترى متى يتبدد ؟
ان كان يفنينا الممات فمعشر الشـ
ـعراء من كل البرية أخلد
فى فقرهم كل الغنى وثرائه
ان الغنى لماله مستعبد
لوحات « رافاييل » لا مال يوا
زيها ، ولا أقدارهن تحدد
كم قطعة تغنى النفوس ثقافة
وقصيدة بكلامها يستشهد
فالشعر فى انجيلنا وكتابنا
والشاعران هما المسيح ، واحمد !

الى موسيقى

حضنتها قيثارة كأن فيها أضلعك
أودعت فيها كل ما فى الروح ربى أودعك
داعبتها مستلهما فأسمعتنا بدعك ...
وارتعشت أوتارها مقبلات أصبعك
ألحانها درب المنى قلبى مشى فيه معك
من وتر لوتر ضيعنى وضيعك ...

الهزار المنتحر

كنت طلق الجناح غير مقيد
يا هزارى تختال بين الغصون

اسرتك الاقفاص كم نتنهد
فى جوارى بحرقة وشجون
اين تلك الاغصان من قضبانك
والجداول وقهقهات الازاهر
أين تلك الآيات من الحانك
فى الخمائل وحسن صوتك ساحر

***

كنت فى الدوح آمنا بصداحك
متضاحك من الورى متشائم
غير اللحن بعد قص جناحك
بنواحك فصرت بالهم واجم
بجناح جربت فك سراحك
فتكسر بكرة وبفرة
خضب الريش من دماء جراحك
وتحير فبت للناس عبرة

***

مت اسرا فكفنك ورودك
والزنابق بموكب تتهادى
ورثتك الاطيار وهى جنودك
والشقائق مقطبات حدادا
انما الذنب للجمال بصوتك
فى اسارك يا فتنة للنواظر
سبب الحسن شتمه عند موتك
وانتحارك فمت ميتة شاعر !

جـورج صيـدح

١٨٩٣

نحن هنا أمام شاعر مهجرى جديد .. ! ولكنه قديم لانه هاجر الى العالم الجديد سنة ١٩٢٧ .

فالشاعر الصداح جورج صيدح قد قارب الآن فى دوحة الهجرة الامريكية ما يدنو من ثلاثين عاما ، ولكنه عاد الى وطنه كما عودنا المهاجرون أن يعودوا الى أوطانهم بعد كفاح السنين ..

ولكن هل سكت الشاعر صيدح لحظة واحدة فى المغترب عن الغناء والحنين الى الاوطان ؟ أليس هو وترا من ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى أرض الوطن فيهفو اليها فى شعر رقيق جميل ؟.. لقد مرت فرقة طرب لبنانية على الارجنتين سنة ١٩٤٨ لتحمل الى المغتربين المتوطنين فى العالم الجديد بعض الالحان العربية الاولى التى سمعوها فى مهاد الطفولة قبل هجرتهم ، فلم يشأ جورج صيدح أن تمر هذه المناسبة من غير قصيدة كلها حنين الى أرض الوطن العزيز ، يقول فيها :

حمائم لبنان هل تذكرين
رفاقك بعد اغتراب الرفاق ؟

لكم سجعوا مثلما تسجعين
خلال الفصون ، حيال السواق
سألناك يا مرسلات الحنين
أكان الحنين نذير الفراق ؟
غدونا عشيرا يناجي عشير
ونحن بواد ، وأنت بواد !
زجلنا الاغانى اليك تطير
وان الاغانى طيور الفؤاد !

ولا يقف صيدح عند الحنين واللهفة الى مسارح الوطن ومرابعه ومصطافه ، ولكنه يتساءل فى نغم يشبه الحسرة والتشوق اللاهف عن صدى صوته وأصوات اخوانه المهاجرين فى سفوح لبنان . وهو حين يستمع فى طرب الى أصوات اللبنانيين القادمين لايفوته أن يسأل عن مصير أصوات المغتربين ومبلغ تأثيرها ونفوذها الى أسماع المقيمين فى أحضان الوطن تحت السفوح أو فوق القمم أو فى جنبات الوطن الكريم :

حمائم لبنان هل من صدى
لاصواتنا فى سفوح الجبل ؟
صداك يجوب الينا المدى
رسول المقيم الى من رحل
هنا سربك النازح المفتدى
يحيى الرسول بدمع المقل !

والشاعر جورج صيدح يمثل المغترب الحنون أصدق تمثيل ، فهو على طول اقامته بدار الغربة واحتمال الاندماج بها والتأقلم فيها لا يزال يحن الى مغانيه الاولى ومدارج طفولته ، ويشبه المغترب بالوردة التى نثرتها الرياح وبعثرتها الاقدار والقت بها فى مستنقع الغربة الكئيب :

يا وردتى طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيور
رباه ! سلطت عليها الرياح
فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدى
فى صفحة المستنقع الاربد ...

ولم يكن صيدح مختارا فى الهجرة كما كان أكثر المغتربين اللبنانيين والسوريين ، وهو يصرح لنا « بالشدة » التى ألجأته الى الهجرة حين يقول :

وطنى ! ما زلت أدعوك أبى
وجراح اليتم فى قلب الولد !
ما رضيت البين ... لولا شدة
وجدتنى ساعة البين أشد
فتجشمت العنا نحو المنى
وتقاضانى الفنى عمرا نفد

ولكن يظهر أن « الشدة » التى هاجر من أجلها استحالت الى رخاء ، وأن الصعب المستسهل فى سبيل العلا والمنى قد آتى ثماره ، وأنه عاد الى الوطن وفى وطابه كثير من الزاد الذى جمعه الجد والجهد والتعب فى سبيل الحياة ! ولكن هل يوازى المال الذى جمعوه ، ذلك الشيء الثمين الغالى الذى أضاعوه ؟ انه واحد من أولئك النازحين المغتربين الذين عادوا على كبرة من السن وفى أيديهم ندوب الجراح ، وعلى جباههم آثار الكفاح ...

رجعوا كالجند من معركة
باد فيها جيشهم ، الا بقايا
تركوا الجرحى الاسارى خلفهم
والضحايا ... رحم الله الضحايا

ما سمات النصر فى جبهتهم
غير آثار حراب وشظايا
كل ما نالوه من غاراتهم
لا يوازى ما أضاعوا من مزايا ...
رب كهل عاد سنهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا ...

ولكن لا تأس أيها البلبل الصداح ! فقد كنت حتما سائرا الى الكهوله المضناة سواء قضيتها فى الوطن أم فى المغترب !

واذا كانت قيثارة جورج صيدح تجيد العزف على الحنين والتلهف الى الوطن فانه قد غزا ميادين أخرى من أبواب الشعر الفنائى فى الوصف والحب والفكرة والوطنية وفكرة العروبة التى تلون شعر هذا الشاعر بلون زاه جميل ...

ففى خلال النكبة التى منيت بها فلسطين والعروبة وفى أحرج ساعاتها سنة ١٩٤٨ يرتفع صوت «صيدح» فى بونس ايريس قائلا :

وطنى ! مطلع أنوار الهدى
بلدى ! ما أنت للذل بلد
أو تغدو وتدا للمعتدى
أين شان العرب من شان الوتد ؟
لا تطل عمرى الى يوم به
تحكم الجرذان فى غاب الاسد ...

وبعد النكبة بسنة نراه فى قصيدة «هواجس سائح» متجهما والناس يبتسمون :

الحسن يضحك فى الربى وأنا
متجهم ، وسواى يبتسم

جزعى على الاوطان يصحبنى
هل فى فلسطين انطوى العلم ؟

وليست « العروبة » عند صيدح كلاما منمقا ، أو بيانا مزوقا ، ولكنها روح تسرى ، ودم يراق على جوانب الشرف الرفيع :

لم يبق فيكم من عروبتكم
الا لسان مفصح وفم !
ان العروبة – يا بلابلها –
روح على كف الفتى ودم ...

فكرة « العروبة » هى الاطار الرحب الوسيع الذى ... فيه مواهب الشاعر جورج صيدح وامكانياته . ... نقش فيه آماله . ولكنه – مع رحابة ذلك الاطار – ينسى وطنه سورية ، ولا ينسى مدينته دمشق التى ولد فيها سنة ١٨٩٣ ، ولا ينسى نهر بردى بمياهه وذكرياته العذاب فيقول من قصيدة بعنوان «سوريا» :

سوريا أمة سل المجد عنها
يجب المجد : أنت تسأل عنى
أنا فيها سماؤها وثراها
والهواء الذى تنشق منى ...
أنا تاريخها الذى كتبته
برءوس القنا ، وأطراف لسن

... من قصيدة بعنوان « بردى » :

دمشق أعرفها بالقبة ارتفعت
بالمرجة انبسطت ، بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق فى الوادى وأطيبه
فى تربة الارض غذاها دم الشهدا

ولكنه لا ينسى اية بقعة من بقاع العروبة ، وخاصة ... كان له فيها ذكريات ، ولقد أقام فى « القاهرة »

مفتريا – استغفر الله بل اخا كريما بين اخوان – من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٢٥ ، اى قبل رحلتـه الى العالم الجديد بسنتين ، فلم تنسه السنون الطوال مصر ولا ذكرياته الغوالى فيها ، فقال فى سنه ١٩٤٨ قصيده بعنوان : لبيك يا مصر ، يقول فيها :

لبيك يا مصر ! قد ناديت ذا مقة
لا يذكر النيل الا والحشا صادى
كنت الضحى فى حياتى بعد ما طلعت
من غوطة الشام فجرا فى سما الضاد
ما أنت فى شرعة الاحباب « قاهرة »
بلَ أنت قاهرة المستأسد العادى
فى تربك الطهر ذوبت الشبـاب فهل
زكا على الروض بعدى زهر أكباد ؟
لا تجحدى يا نخيلات الصـعيد دمى
والطلع نور مصبوغا بفرصاد ...

أخشى ان يطول بنا نفس الحديث عن جورج صيدح فى مجال محدود ، ولـكن لابد أن نذكر على عجل أنه ولد فى دمشق وتعلم بها ، ثم أتم تعليمه بمدرسـة عينطورا بلبنان ، وكان الاخطل الصغير « بشـارة الخورى » ينشر له شعره فى جريدته « البرق » وهو طالب فى العقد الثانى من العمر. وكان نصيب « فنزويلا » من صيدح عشرين عاما قضاها فى الصفق بالاسـواق والبيع والشراء ، كما كان نصيب « الارجنتين » منه خمسة أعوام كان آخرها سـنة ١٩٥٢ ، ومنـذ ذلك الحين ظل يتنقل بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد حتى القى عصا التسيار بمدينة بيروت سنة ١٩٥٤ . وبعد ذلك بقليل دعتـه الغربة التى الفهـا الى باريس فألقى فيها رحله حيث يطالعنا الى اليوم برسـائله ،

وشعره الوفى الرصين. وحيث يظللنا على البعد بصداقته ومودته ومروءته النادرة ...

وله ديوان « النوافل » الذى طبع بالارجنتين سنة ١٩٤٧ وخصص ما يجمع من ثمنه لنصرة قضية فلسطين . وقد علق الشاعر ايليا أبو ماضى فى مجلته « السمير » التى تصدر بالعربية فى « بروكلن » على تلك المأثرة بواحدة من يومياته عنوانها : « شاعر يبذل الانفسين : الروح والمال » ...

أما ديوانه « نبضات » فقد طبع فى باريس سنة ١٩٥٣ وزين بلوحات فنية بريشة الفنان العراقى جميل حمودى ..

وفى سنة ١٩٦٠ أصدرت دار مجلة شعر ببيروت ديوانا ضخما له بعنوان « حكاية مغترب » وجعل اهداءه « الى كل عربى اللسان والوجدان » .

وكان من أثر نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ فى نفس صيدح أن أصدر ديوانه « شظايا حزيران » فى طبعتيه الاولى سنة ١٩٦٩ ، والثانية المزيدة سنة ١٩٧١ .

وفى سنة ١٩٧١ صدر له « شظايا أيلول » والبقية تأتى .

أما كتابه « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الامريكية الذى صدرت طبعته الاولى فى القاهرة سنة ١٩٥٦ وطبعته الثالثة فى بيروت سنة ١٩٦٤ فهو يعد من أوثق وأمتع مصادرنا عن الادب العربى فى المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى ، وفيه من تدقيق صديقنا صيدح وتعمقه وتتبعه للمسائل ، وخطراته اللماحة الذكية ، وخفة ظله ما يجعله عمدة لكل باحث فى تيارات الادب العربى فى العالم الجديد ..

باقة من أشعاره

ساعة التجريح

رفقا بها يا مبضع الجراح
شرحت قلب الوالد الملتاح
ان زدت ايلاما فضحت تجلدى
وجمعت بين صياحها وصياحى
والله لو أطلقت روحى لارتمت
تحت النصال تصدها بجراحى
هذى القطاة ، قصاصة من ريشها
تكفى اذا انتشرت لقص جناحى
ماذا جنت وهى العظيمة فى الربى
حتى تسام خسارة الاقداح ؟
بالامس مدت عنقها من وكنها
واليوم تشهد مدية الذباح
الياسمين الغض فى أكمامه
غبن النضارة أخذه بالراح
أنا لا أخدشه بغير نواظرى
وبغير شم عبيره الفواح
مالى أراه على الخوان مجرحا
وأكاد ألثم أنمل الجراح ؟ !

(*) نظمها الشاعر بمناسبة عملية جراحية عملت لابنته الوحيدة

ويحى ! دفعت الى المشـــارط فلذة
كنت الضـــنين بهـــا على الارياح
صرعت من الآلام فى غيبـــــوبة
سكرت بها وانا الصريع الصــاحى
قالوا غلوت بحبهـــا فأجبتهم :
ويل الشـــجى من الخلى اللاحى !
النوح ان يثقل على اســــماعكم
صـــلوا لأجل نجاتها وصــداحى

هى فرحة للوالدين وحيـــــدة
يتآسيـــان بهــــا على الاتراح
ان الذى اشفى على خوض الدجى
مثلى ليقــدر قيمة المصباح .
آمنت فى علم الطبـــيب ، وان فى
جرح الجسوم ســـلامة الارواح
رباه ! ســـدد كفه وســـلاحه
انى طرحت على يديه ســـلاحى !

حمائم لبنان

(نظمها محييا فرقة طرب لبنانية وفدت على الارجنتين)

حمائم لبنــــان ! هــل تذكرين
رفاقك بعــد اغتـــراب الرفاق ؟
لـكم ســجعوا مثلمـــا تسـجعين
خلال الغصـــون ، حيــال السواق
ســــألناك يا مرســلات الحنين
اكان الحنـــــين نذير الفراق ؟
غدونا عشــيرا يناجى عشـــير
ونحن بـــواد وانت بـــواد

زجلنا الاغانى اليك نطير
وان الاغانى طيور الفؤاد . . .

***

حمائم لبنان ! مدى الهديل
جناحا . يمد اليه الجناح
شراعان كل يروض السبيل
الى موعد ضربته الرياح
سلى عنهما روغان الاصيل
وزهو الليالى . ونزو الصباح
اذا انطلقا كانطلاق الزفير
أو التقيا كالتقاء الزناد
سرت خلجات الهوى فى الاثير
وعانق كل منادٍ مناد

***

حمائم لبنان هل من صدى
لاصواتنا فى سفوح الجبل ؟
صداك يجوب الينا المدى
رسول المقيم الى من رحل
هنا سربك النازح المفتدى
يحيى الرسول بدمع المقل
ويصغى الينا كمن يستجير
على البين بالنغم المستجاد
سلام على سامع فى الضمير
من المنشدين نداء البلاد . . .

ساعة الغروب

هناك على مذبح الرابية يموت النهار
وفي هيكل الغابه الساجية شموع تنار

يجز الشعاع رءوس الشجر فتجرى الدما
كأن الاله الجمال انتحر بباب السما

الام تشبث كف الزوال ؟ بشعر القلل ؟
لقد سلمت هامها للظلال وضاع الامل !

ترى اتلاقت عيون البشر فكان الشفق
وافضت بما فى القلوب استتر فحل الغسق

اتشكل فى الارض ام ولد بهذا المسا
ومن صدرها يستمد الجلد لهيب الاسى

افيها فتاة على عريها تسح الدموع
تحاذر تأكل من ثديها وان طال جوع ؟

ام انى الذى قد أعار الغروب وشاح الالم
زفرت ، فشق زفيرى الدروب وشف القمم

بلغت بعمرى مساء الحياة فودعت شمسى
بمرثية تصبغ الكائنات بالوان نفسى

وفى البحر، فى منتهى البحر نار كنار الهضاب
هى الشمس فى ساعة الاحتضار تقاسى العذاب

وتستخرج اليم هل من مقر		به تستريح ؟
اذا باديم العباب انشطر		بحجم الضريح

ومد الذراع وئيدا وئيد		الى فرعها
وزاد فهدهدها بالنشيد		مدى نزعها

هوت كرة النور للهاوية		وطاب القرار !
فصرت احن الى زاويه		بقاع البحار..

مصير وردة

يا وردتى ! طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيور
رباه ! سلطت عليها الرياح
فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدى
فى صفحة المستنقع الاربد

***

وافيتها فى الماء عند الغسق
وحولها الاقذار طوف يطوف
كأنها بين الدياجى شفق
تناثرت من بردتيها شفوف
على عراء الافق الاسود
وعورة المستنقع الاربد . . .

لهفى عليهـا ! ما اذل الاسـير
آسـره عبـد دعى الحسب
رباه ! لو ألقيتهـا فى الغـدير
لاحتضـرت راقصـة من طرب
بريئـة من دنس المسـند
فى حماة المستنقع الاربد . .

***

أى وردتى فى ثوبك الناصـع
وحظـك الفاحم ، هزؤ القـدر
ما لى يد فى الـكوكب السـاطع
خلف الغيـوم الخانقات استتر
ضـاع سنـاه كالعبير النـدى
منك على المستنقع الاربد . . .

***

سألت عنك الروض ، والروض نام
عن خطبك الفادح ملء الجفون
كأن ما كنت عـروس الخـزام
سـيدة الازهار ، تاج الغصون
غابت عن الرائح والمغتـدى
ذكراك فى المستنقع الاربد . . .

***

لو كنت شوكا ما غزتك الرياح
ولا ترامتك الذرى والسـفوح
اذا اسـتطالت غمزات الوقاح
اليك آبت كفه بالجروح . . .
مشربك السلسـال فى الانجد
لا كدر المستنقع الاربد . . .

واختلج الماء لريب مزق
احشاءه من وشوشات النسيم
فابتلع الوردة الا العبق
منها تهادى فى خلايا السديم
كأنه روح لمستشهد
رف على المستنقع الاربد..

شكرالله الجر

على الرغم من ان قرية فتوح كسروان بلبنان هى الارض التى استقبل الوليد « شكر الله الجر » أول نسمات الحياة فيها فان « لوادى يحشوش » — مسقط راس الصحفى الكبير المرحوم «داود بركات» — تذكارات أدبية وروحية لا يمحوها الزمان فهناك فى هذا الوادى الجميل ، حيث مراشف الشفق الدامى تلتظى نورا ونارا

والنهر يفرش حولنا زبدا كمنتثر النضار
والشمس عند مدارج الا افق البعيد بها اصفرار

هناك كان يجلس شيخ الصحافة العربية داود بركات ، وحوله التلامذة والرفاق كأنهم تلامذة صغار ، وهو يرسل الكلام جامعا بين الدعابة والوقار ... وفى هذه الحلقة الادبية الغالية كان الفتى شكر الله ..

اما قرية جبيل اللبنانية — حيث نهل الفتى شكرالله معارفه الابتدائية فى مدرسة الاخوة المريميين — فهى على صخرها بلد الذخائر والودائع ، وللعذارى فيها بعيونهن وبراقعهن السود — منذ اكثر من نصف قرن — اثر ظل باقيا فى نفس الشاعر وهو فى مهجره البعيد ، وقد أفصح عنه وهو ينشد قصيدة فى تكريم الشاعر القروى ... فهو فى البرازيل لم ينس الهوى فى لبنان :

وليالياً معسولة الذكرى معطرة المضاجع
والشاطىء الوردى بين جوانح الاسحار هاجع
والموج دغدغ فى الضفاف ملائكا جفت المخادع
والفجر كالزبد المفتح عن زنابقه النواصع

ولقد ظل وادى يحشوش يداعب خيال الشاعر فى مغتربه ، فتراه يحن اليه ويذكره فى ساعات اليأس قائلا

سلام على الوادى الذى قد اظلنى
زمان الصبا أيام لم اعرف الكربا

وذهب الصبا بحلاوته ونضارته ، وترك الشاعر وطنه سنة ١٩١٩ (١) مهاجرا الى البرازيل ملتمسا الرزق عن طريق التجارة ، ولكن الصحافة أغوته ، ولعله تأثر فى ذلك بقريبه داود بركات ، فأنشأ مجلة « الاندلس الجديدة » ، وبعدها أسس « الزنابق » . وظلت أمواج الحياة تراوح به وتفادى بين الصحافة والتجارة ، وهما عملان لم يمنعاه عن التغنى على قيثارة الشعر ، فأخرج ديوان « الروافد » سنة ١٩٣٤ ، وديوان « زنابق الفجر » سنة ١٩٤٥ وقد غلب شعر الوطنية والحنين الى الوطن عند الشاعر شكر الله الجر الى حد أن ديوانه « الروافد » كاد يكون كله شعرا وطنيا محترق الانفاس . وعلى الرغم من ايمانه بأن شعر الوطنية يزول بزوال المناسبة التى قيل فيها ، وبأن شعر حافظ ابراهيم الوطنى لن يبقى بقاء سائر

---

(١) نقلت تاريخ هجرة الشاعر الى البرازيل سنة ١٩١٩ من الاستاذ جورج صيدح وغيره ، ولكن شكر الله الجر نفسه صحح ذلك فى مقال له جيد جدا بعنوان « حقائق حول القضية الاندلسية » منشور بمجلة الضاد الحلبية عدد ٩ ، ١٠ سنة ١٩٦٩ صفحة ٤٣٦ ، وذكر فيه أنه هاجر سنة ١٩٢٣ وهو القول الفصل وقد ذكر يعقوب العودات هذا التاريخ صحيحا فى كتابه « الناطقون بالضاد »

اشعاره ، فانه جمع فى « الروافد » قصائده الوطنية التى لا تخلو من صور فنية ، ولوحات رائعة لطبيعة الوطن وارضه وسمائه .

ولا يخلو شعر شكر الله الجر من المناسبات العامة والخاصة ، فهو تارة يشترك فى تكريم شاعر بقصيدة ، وطورا يهنىء أحد رجال السلك السياسى المصرى ويكرمه مع الجالية العربية فى البرازيل ... الا ان الرثاء يكثر فى ديوانه ولعل حافظ ابراهيم لم ينفرد بكثرة المراثى حين قال

اذا تصفحت ديوانى لتقرانى
وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

فان ديوان شكر الله تكثر فيه مرثياته للملك حسين والشاعر فوزى المعلوف ، والاديب طانيوس عبده ، وسعد زغلول ، وجبران خليل جبران ، وداود بركات رئيس تحرير الاهرام وغيرهم

ولقد أحسن الشاعر وصف طبيعة لبنان حين ذكره مهاجرا ، كما أحسن وصف الطبيعة فى امريكا الجنوبية ، فهو وصف يدل على مزج الحس بالشعور ، وتحويل المشاهد الى انفعالات وانطباعات حية ، كما فعل فى قصيدته «شلال تيجوكا» ، التى لم نجدها فى ديوانه ، ولكنا نقلناها عن مجلة المقتطف « جزء ابريل سنة ١٩٣٢ » .

والشاعر من دعاة التجديد ، لا فى الادب وحده ، ولكن فى حياة الامة الاجتماعية ، وقد كان له راى المؤيد فى حركة التجديد التى قام بها « امان الله » فى افغانستان ، الا ان الشاعر اللبنانى البليغ « امين ناصر الدين » اتخذ موقف المعارض من هذه الحركة ، وقامت بين الشاعرين مناظرة شعرية حادة فى صحيفتى

« الصفاء » و « البريد » اللبنانيتين فى فلسطين سنة ١٩٢٨ .

وعلى الرغم من روح التجديد عند الشاعر «الجر» فانك تلمح على شعره آثار المحاكاة ، وخاصة قصيدته « المنطاد زبلن فى سماء ريودى جانيرو » فقد تأثر فيها بقصيدة شوقى فى الطيارين الفرنسيين « فدرين » و « بونيه » التى يقول فيها

يا فرنسا نلت أسباب السماء
وتملكت مقاليد الجواء

فقد حاكاه فيها حتى فى الوزن والقافية ! وفيها يقول شكر الله الجر

ارايت الحوت فى عرض الفضا
هاويا من بين ابراج السماء ؟

وحوت شكر الله الجر هنا هو « حوت » الشاعر شوقى الذى يقول

أو كحوت يرتمى الموج به
سابح بين ظهور وخفاء

ويظهر أن الشاعر شكر الله الجر قد مل الغربة عن وطنه اربعين عاما ، فودع ارض مهاجره فى البرازيل سنة ١٩٦٢ الى قريته بحشوش ، حيث تفرغ للشعر والكتابة ، فانجز ديوانين هما « اغانى الليل » و « أضواء على الحياة » ، ونشر فى مجلة الاديب سلسلة من التراجم لبعض المظلومين من شعراء المهجر ، وكان احد الكتاب اللامعين والشعراء الفحول فى مجلة « الضاد » الحلبية التى يصدرها أخونا الشاعر عبد الله يوركي حلاق روضة من رياض الادب العربى الحديث

الحديقة

غدا ستعرى بنان الخريف
افانين اشجارك الزاهرة
وتنثر كف الشتاء هباء
بقايا وريقاتك الناضرة
وتحجب عنك تفور النجوم
غمائم فى افقها سائرة
ويغشاك عند الصباح الضباب
غدا ستلملم عنك الطيور
الجناح الى اربع قاصية
فلا ما يزقزق فوق الغصون
ولا ما يرف على الساقية
بلى قد يمر عليك الغراب
وينعب فى الدوحة العارية
وبعض النعيب نذير الخراب !
سيجفو ظلالك اهل الهوى
وتحتلك الوحشة المرعبة
فلا تسمعين خفوق القلوب
ولا رنة القبل المطربة !
ولا تلمحين بنان الحسان
تداعب أثمارك الطيبة !
فهل تحسبين لهذا حساب

لئن يحزننـــــك ان الخريف
غدا ســـــيبدل من نضرتك
فسوف يعيـــد اليك الربيـع
عريس الزمان ســــنا بهجتك

فيرقص طيرك فوق الغصـــون
ويستضـحك النور فى وجنتـك
ويجرى بعودك ماء الشباب
واـكن قلبى كما تعهـــدين
تـكر فصول ، وتأتى فصـول

وكل الفصـــول لديه خريف
وكل الليـالى شتـــاء طويل
فمـــاذا ارجى وقد جف فيه
معين الشباب ؛ وعاث الذبول
بزهر الامانى فأمسى تراب ؟

قشور ولباب

اترى الاشـجار تدرى انهـــا كانت بذورا ؟
ام ترى الاثمار تدرى انهـــا كانت زهورا ؟
ليس عنـد الارض علم انها كانت ضبـــاب
لا ولا الابريز يـدرى أنه كان تـــــراب

كل ما خلنـــاه قشرا صار فى الارض لبـاب
اتـــرى الارواح تمشى جوهرا خلف التـــراب
ان امر البعث ســـر كائن خلف الوجـــود
ووجود المرء غصـــن جذعه تحت اللحـــود

الشاعر التائه

الا ايها الماشي على الارض ذاهلا
تدور كأسراب الفراش على الزهر
يداك على قلب الزمان واهله
ورجلاك من نجم الدجى فوق منبر (١)
جناحك في الآفاق يمسح شمها
وظلك يجري كالسفينة في البحر
فديتك ! هل تبقى مدى العمر تائها
تطل على فجر ، وتغرب عن فجر ؟

قالت وقلت

قالت الام الهوى والكأس والوتر
ولى شبابك لا زهر ولا ثمر !
فقلت ما هم ان شمس الصبا غربت
اذ طالما من شباب الروح لى قمر
ان مات في الروض صداح يظل على
مباسم الورد من افلاذه نشر
كم عرت الريح غصنا من ازاهره
وظل يسكر من اطيابها السحر
حتى العيون اذا ما الكحل فارقها
يبقى بأهدابها من ظله اثر !
ان الربيع وان اذوت نضارته
عند الفراشات من الوانه صور

(١) كذا بالاصل وهو من غير وزن بقية المقطوعة

فهرس

صفحة

الفصل الاول : شعراء المهجر الشمالى

الفصل الثاني : شعراء المهجر الجنوبى

وكلاء اشتراكات مجلات دار [illegible]

جدة — ص ب رقم ٤٩٢
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل

Sr. Miguel Maccul Cury
R. 25 de Março. 991
Caixa Postal 7106
São Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

نعيش في هذا الكتاب مع بضعة عشر شاعرا عربيا من شعراء المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى ، ونعيش مع اشعارهم التى سجلوا فيها ارق واعذب ما سجله الشعر العربى الحديث ، منذ وطئت اقدام هؤلاء النازحين الماهدين ارض العالم الجديد ، فجعلوا منه اندلسا جديدة ، ولم ينعزلوا فى عالمهم النائى الغريب عن أرض وطنهم العربى ، لغة وعادات وتقاليد · ولم يسمحوا للبيئة الجديدة أن تذيبهم ·· بل اخذوا ـ بين متاعب الهجرة ، ومواجع الغربة ـ يغنون أحزانهم ، وافراحهم ، وأحاسيسهم ، ومشاعرهم ، ومواجدهم · وزودتهم البيئة الجديدة بافكار جديدة ، والهامات جديدة ، وعبارات جديدة · وظلوا ينظمون بالعربية لها كيانا فى أرض غير أرضها ، وتربة غير تربتها ، وبين ألسنة ورطانات غريبة عليهم · وزادهم الحس العربى المرهف امعانا فى الشدو على الوتر العربى ··· فطعموا الادب العربى الحديث بحصيلة وافرة من الشعر المتجدد ، عبروا بها عن آرائهم فى الحب ، والخير ، والشر ، والنفس ، والخلود ، والانسانية ، والصوفية الشرقية ، والقومية العربية ، وأدب الاغتراب والحنين الى الوطن الذى يوازى حنين الابل الى اعطانها ···

وقد تقرى المؤلف فى تتبع دقيق أحدث ما نظمه شعراء المهجرين الشمالى والجنوبى حتى يومنا هذا · ووجد من المجلات العربية فى العالم الجديد ، ومن المؤلفات العربية الحديثة هناك ، مددا وافرا للنماذج الجيدة التى اختارها ، وللشعراء الذين عرف بعضهم بالمراسلة معرفة أتاحت له أن يترجم لهم ، ويعرف بهم فى ايجاز دقيق ، وأسلوب مشرق أنيق ···

١٠ قروش